الباب التاسع

الفقهاء والعلماء والأدباء

obeikandl.com

obeikandl.com

الفقهاء والعلماء والأدباء

نريد أن نتحدث فى هذا الباب عن الجوانب الممتازة فى الحياة العقلية فى العصر الاخشيدى . ولا ريب فى أن أهم مظاهرها نشاط الفقهاء والعلماء والأدباء ، وليس من السهل تمييز كل طائفة منها تمييزا خاصا لأنها كانت تلتقى فى بعض الأحيان . ولكننا نقصد حملة علوم الشريعة والعبادات حين نتحدث عن الفقهاء ، ونقصد المتخصصين فى فن واحد حين نتحدث عن العلماء . أما الباقون ممن تكلموا فى فنون مختلفة فهم الأدباء .

وكان العصر الاخشيدى غنيا بهذه الطوائف جميعها ، وكانت تلتقى فى مجالس الأمراء وعلية القوم [1] وتحظى بتقديرهم ورعايتهم . ومن ذلك أن الاخشيد أعجب بعلم أحد الفقهاء فولاه على سواحل مصر [2] . كما أن اوتوجور كان يجالس سيبويه المصرى وينادمه [3] . وكان الوزير محمد بن على بن مقاتل يجرى على هذا الأديب مبلغا من المال فى كل شهر [4] . وكان بالفسطاط سوق كبير للوراقين يسعى اليه أهل العلم والأدب [5] . وقيل إن الخليفة عبد الرحمن الناصر أرسل من الأندلس عشرة آلاف دينار لتفرق على فقهاء المالكية فأمر كافور بعشرين ألف دينار لتفرق على فقهاء الشافعية [6] .

---

(١) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصرى ص ٣٩ ، والكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٦٩

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٣٠ — ٣١

(٣) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصرى ص ١٨ و٣٦

(٤) المرجع نفسه ص ٣٥

(٥) المرجع نفسه ص ٥١

(٦) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ١٩٠ — ١٩١

وكان الفقهاء والعلماء والأدباء يلتقون فى المساجد للمناظرة وبحث المسائل الفقهية والأدبية . ومن المساجد التى كانوا يقبلون على الجلوس فيها لهذا الغرض مسجد عمرو بن العاص[١] ، ومسجد ابن عمروس[٢] ، ومسجد عبد الله[٣] .

(١) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصرى ص ٢٢ و٢٣ و٤٢ و٥٢
(٢) المرجع نفسه ص ٤٤ و٤٦
(٣) المرجع نفسه ص ٤٦

obeikandl.com

(١)

الفقهـــاء

ظهر من المحدثين فى مصر الاخشيدية أبو بكر أحمد بن عمرو الطحان المتوفى سنة ٣٣٣ ، وأبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس المتوفى سنة ٣٤٧ [١] . وقد استطاع ابن يونس أن يكون إماما متيقظا حافظا فى الحديث وإن كان لم يرحل ولم يسمع الحديث بغير مصر ، وكان العرف قبل القرن الرابع لا يجيز للانسان رواية الحديث من غير لقاء رجاله ومن غير إجازة مكتوبة تخوله حق الرواية [٢] . وقد ألف ابن يونس كتابا فى تاريخ مصر على هيئة سير لعلمائها . وضاع هذا الكتاب ولكنا نجد بعض مقتطفات منه فى حواشى المخطوط الذى طبع منه الاستاذ جست كتاب الولاة والقضاة للكندى ، كما أن ابن حجر نقل عنه فيما كتبه عن القضاة . ويبدو من هذه المقتطفات أن الكلام على الحديث والمحدثين كان أساس ما كتبه ابن يونس فى التاريخ [٣] .

ومن المحدثين الذين ظهروا فى عصر الاخشيديين حمزة بن محمد بن على العباسى الكنانى وقد توفى سنة ٣٥٧ ، وسعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن وهو بغدادى نزح الى مصر وتوفى سنة ٣٥٣ ، ومنهم محمد بن على بن حسن المصرى نزيل تنيس وكانت وفاته سنة ٣٦٩ ، والحسن بن رشيق المتوفى سنة ٣٧٠ ، وابن النحاس أحمد بن محمد بن عيسى ابن الجراح وقد قام بأسفار طويلة وتوفى سنة ٣٧٦ عن خمس وثمانين سنة . ومنهم ابن مسرور عبد الواحد بن محمد بن أحمد ، نشأ فى بلخ وأقام بمصر وتوفى سنة ٣٧٨ ، وأحمد بن ابى الليث نصر بن محمد النصيبى المتوفى سنة ٣٨٦ ، ومنهم الوزير أبو الفضل جعفر ابن الفرات المتوفى سنة ٣٩١ [٤] .

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٤

(٢) متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣١٥ وما ذكره من المراجع القديمة .

(٣) أنظر ص ٤٤ من المقدمة الانجليزية التى كتبها جست لكتاب الولاة والقضاة للكندى .

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٤ — ١٦٥

وعاش بمصر فى العصر الاخشيدى نفر من المحدثين الذين لم يبلغوا درجة الحفظ والتفردين بعلو الاسناد وقد سرد السيوطي أسماءهم وتاريخ وفاتهم[١] .

* * *

استقرت المذاهب الفقهية الكبرى فى القرن الرابع الهجرى . وكانت السيادة فى مصر للمذهبين الشافعى والمالكى ، وفى سنة ٣٢٦ هـ كان للشافعيين فى جامع عمرو خمس عشرة حلقة وللمالكيين مثلها ولأصحاب أبى حنيفة ثلاث حلقات فقط[٢] . وكانت المنافسة تقوى والنزاع يشتد فى بعض الأحيان بين أصحاب المذاهب المختلفة بمصر ، وقد حدث فى سنة ٣٢٦ أن « عاد أصحاب مالك والشافعى الى القتال فى المسجد الجامع العتيق »[٣] ويبدو أن الأمراء الأخشيديين وأتباعهم كانوا يكرهون الشافعية[٤] .

وكان على رأس الفقهاء الشافعية فى العصر الاخشيدى ابو بكر محمد بن احمد بن محمد ابن جعفر المعروف بابن الحداد وكان « فقيها محققا غواصا على المعانى تولى القضاء بمصر والتدريس ، وكانت الملوك والرعايا تكرمه وتعظمه وتقصده فى الفتاوى والحوادث . وكان يقال فى زمنه : عجائب الدنيا ثلاث : غضب الجلاد ونظافة السماد والرد على ابن الحداد »[٥] . وكانت ولادته سنة ٢٦٤ ووفاته سنة ٣٤٤ أو سنة ٣٤٥ ، « وكان متصرفا فى علوم كثيرة من علوم القرآن الكريم والفقه والحديث والشعر وأيام العرب والنحو واللغة وغير ذلك . ولم يكن فى زمانه مثله وكان محببا إلى الخاص والعام . وحضر جنازته الأمير ابو القاسم أونوجور بن الاخشيد وكافور وجماعة من أهل البلد »[٦] وكان أحد أجداده يبيع الحديد فنسب إليه . ولابن الحداد أخبار كثيرة مع الأمراء الاخشيديين تشهد بعلو

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٧٣ — ١٧٤ .
(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٢٤
(٣) المرجع نفسه ص ٢٤
(٤) الكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٥٥
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٨٠
(٦) المرجع نفسه .

همته وثقته فى نفسه [١] . ولا عجب فقد كان « طويل اللسان غير مطعون عليه فى قول ولا فعل مجموعا على صيانة وطهارة . وكان من محاسن مصر حاذقا بعلم القضاء حسن التوقيعات » [٢].

ومن فقهاء الشافعية الذين أدركوا العصر الاخشيدى ابو عبد الله الحسين بن ابى زرعة الدمشقى المتوفى سنة ٣٢٧هـ . وقد عرفنا أنه ولى القضاء فى بداية حكم الاخشيد [٣]. ومنهم أبو بكر محمد بن بشر بن عبد الله الزبيرى المتوفى سنة ٣٣٢ [٤] ، وابو رجاء محمد ابن احمد بن الربيع الأسوانى المتوفى سنة ٣٣٥ ، ويقال انه كان أديبا شاعرا وأنه نظم قصيدة طويلة بلغت ثلاثين ومائة الف بيت (هكذا !!) ذكر فيها أخبار العالم وقصص الأنبياء وغير ذلك من كتب الطب والفلسفة [٥] .

ومن فقهاة الشافعية فى مصر الاخشيدية عبد الرحمن بن سلمويه الرازى ، قدم الى مصر وتفقه بها ودرس فى جامع عمرو وتوفى سنة ٣٣٩ ، ومحمد بن ابراهيم بن الحسين المعروف بابن سكره ، وهو بغدادى الأصل سكن مصر وتوفى سنة ٣٤٢ ، ومنهم عبد الله ابن محمد الخصيبى ، وقد عرفنا أنه ولى قضاء مصر وتوفى سنة ٣٤٨ ، ومحمد بن موسى ابن عبد العزيز الكندى ويلقب بسيبويه وكان شاعرا فصيحا يتظاهر بالاعتزال وتوفى سنة ٣٥٩ وعبد الله بن محمد بن عبد الله بن الناصح المتوفى سنة ٣٦٥ [٦].

أما فقهاء المالكية فقد أدرك منهم العصر الاخشيدى هرون بن محمد بن هرون الاسوانى المتوفى سنة ٣٢٧ [٧] ، وعلى بن عبد الله بن أبى مطر الاسكندرانى المتوفى سنة ٣٣٠ ، ومن فقهاء المالكية فى ذلك العصر محمد بن يحيى بن مهدى الاسوانى

---

(١) الكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٥١ — ٥٥٧
(٢) المرجع نفسه ص ٥٥٢
(٣) المرجع نفسه ص ٤٨٧ و٤٨٨ و٥٦٢ — ٥٦٣
(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٨٧
(٥) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٦٧ ؛ لعل المقصود ثلاثين ومائة وألف بيت .
(٦) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٨٧ — ١٨٨
(٧) الادفوى : الطالع السعيد ص ٣٩٣

وقدولى قضاء مصر ومات سنة ٣٤٠[١]، وبكر بن محمد بن العلاء القشيرى وأصله من البصرة ثم نزح الى مصر وتوفى بها سنة ٣٤٤[٢] . ومنهم أحمد بن محمد بن جعفر الأسوانى الصواف المتوفى سنة ٣٦٤ أو سنة ٣٧٤[٣]، ومحمد بن يوسف بن بلال الأسوانى المتوفى سنة ٣٧٦[٤]. وكان على رأس فقهاء المالكية فى فترة من العصر الاخشيدى ابو اسحق محمد بن القاسم ابن شعبان المتوفى سنة ٣٥٥[٥] .

وكان لمصر سبق مذكور فى ميدان التصوف وذلك منذ بدء ظهور طوائف الصوفية فى مصر مهد الرهبنة المسيحية[٦] . وكان ذو النون المصرى المتوفى بالجيزة سنة ٢٤٥ من أكبر النساك فى بداية التصوف ويعد من أقطاب الصوفية وله فضل كبير فى وضع كثير من التعاليم الصوفية التى نعرفها الآن ، بل يقال انه أول شيخ أعلن اعتناقه العقيدة الصوفية[٧] . ومات بمصر قبيل قيام الدولة الاخشيدية قطب آخر من أقطاب الصوفية : هو أبو الحسن بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد الحمال[٨] .

ومن الصلحاء والصوفية الذين أدركوا العصر الاخشيدى أبو الحسن على بن محمد بن سهل الدينورى المتوفى بمصر سنة ٣٣١، وأبو الخير الأقطع المتوفى سنة ٣٤٣، ومن الصوفية فى هذا العصر أبو على الحسن بن أحمد الكاتب المصرى المتوفى سنة ٣٤٣، وأبو بكر محمد ابن أحمد بن سهل الرملى النابلسى . وكان الأخير يكره الفاطميين حتى يروى أنه قال : لو كان معى عشرة أسهم رميت الروم بسهم ورميت بنى عبيد بتسعة . فلما فتح الفاطميون مصر قتله المعز سنة ٣٦٣، ويروى أن لهذا الصوفى قصة مع كافور تشبه قصة هذا الأمير

---

(١) الادفوى : الطالع السعيد ص ٣٦٤ ، والكندى : الولاة والقضاة ص ٥٣٢ — ٥٣٤

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٢

(٣) السيوطى : المرجع نفسه ، وقد ذكره الادفوى فى الطالع السعيد ص ٧٤ باسم أبى جعفر أحمد بن محمد بن هارون بن موسى الاسوانى .

(٤) الادفوى : الطالع السعيد ص ٣٦٦

(٥) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤١

(٦) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٦٢ ، والمقريزى : الخطط ج ١ ص ١٧٣

(٧) R. L. Nicholson : Studies in Islamic Mysticism

(٨) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤٣ — ٢٤٤

مع الشيخ أبى عبد الله بن جابان ، وهى القصة التى رويناها عند الكلام على أخلاق كافور [١] . وبيان ذلك أن كافورا الاخشيدى بعث الى أبى بكر محمد بن احمد بن سهل الرملى بهدية من المال فردها وقال : قال الله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين » ، فالاستعانة بالله تكفى ، فرد كافور الرسول بالمال اليه وقال له : قال الله تعالى « له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى » [٢] فأين ذكر كافور هنا ؟ فقال أبو بكر : صدق ، الملك والمال لله ، كافور صوفى لا أنا ، ثم قبل المال [٣] .

* * *

وانتقلت من العراق الى مصر فى القرن الثالث الهجرى صورة من خلافات المتكلمين ، وذلك منذ بعث المأمون الى ولاة الأمصار بمنشوره الذى أمر فيه بأخذ العلماء والقضاة بخلق القرآن . وقد ورد كتاب المأمون على كيدر والى مصر سنة ٢١٨ هـ فامتحن قاضيها وفقهاءها وقالوا بخلق القرآن [٤] . وما لبثت هذه الحركة أن اشتدت فى خلافة الواثق ، وقد كتب الكندى فى هذا الصدد : « أن أمر المحنة كان سهلا فى ولاية المعتصم لم يكن الناس يؤخذون بها شاءوا أو أبوا ، حتى مات المعتصم وقام الواثق سنة سبع وعشرين ومائتين فأمر بأن يؤخذ الناس بها ، وورد كتابه على محمد بن ابى الليث بذلك . وكأنها نار أضرمت . . . فلم يبق أحد من فقيه ولا محدث ولا مؤذن ولا معلم حتى أخذ بالمحنة . فهرب كثير من الناس وملئت السجون ممن أنكر المحنة وأمر ابن ابى الليث بالاكتتاب على المساجد : لا اله الا الله رب القرآن المخلوق . فكتب ذلك على المساجد بفسطاط مصر ومنع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعى من الجلوس فى المسجد وأمرهم أن لا يقربوه » [٥] .

(١) أنظر صفحة ١٣٥ إلى ١٣٧ من هذا الكتاب .
(٢) قرآن كريم سورة طه ، الآية ٦
(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤٥
(٤) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٩٣ و ٤٤٥
(٥) المرجع نفسه ص ٤٥١

وكان المعتزلة فى القرن الثالث الهجرى يعالجون مسائل كلامية محضة ودفعوا خصومهم فى القرن الرابع الى الاجابة عن هذه المسائل [١] . وفى مصر أثير الجدل فى الاعتزال فاعتنقه قوم ورفضه آخرون . وظلت حركة المعتزلة فى مصر حتى بعد أن ورد كتاب المتوكل على الوالى هرثمة بن النضر سنة ٢٣٤ « يأمر بترك الجدال فى القرآن » [٢] وهكذا شاهدت مصر فى العصرين الطولونى والاخشيدى بعض من يعتنقون مذهب الاعتزال .

وروى ابن زولاق أن سيبويه المصرى كان معتزليا وكان « يظهر الكلام فى الاعتزال فى الطرق والاسواق » وكان الناس يتحملون ذلك منه لاعتقادهم أنه لم يكن سليم العقل تماما . وقال ابن زولاق أن سيبويه أخذ علم الاعتزال عن أبى على محمد بن موسى القاضى الواسطى وكان وجه المتكلمين بمصر . ويروى أن سيبويه كان يوم جمعة فى سوق الوراقين [٣] فى جمع كبير ، وفى الحاضرين أبو عمران موسى بن رباح الفارسى المتكلم أحد شيوخ المعتزلة المشهورين ، وكان سيبويه يصيح ويقول : الدار دار كفر أحسبكم أنه ما بقى فى هذه البلدة العظيمة أحد يقول القرآن مخلوق إلا أنا وهذا الشيخ أبو عمران أبقاه الله ، فقام أبو عمران يعدو خافيا خوفا على نفسه حتى لحقه رجل ببغله [٤] .

(١) متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣١٣

(٢) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٩٧

(٣) نلاحظ أنه لم تكن هناك مدارس فى العصر الاخشيدى وإنما كانت الدروس تلقى فى المساجد وفى بيوت علية القوم ، ولم تكن سوق الوراقين لبيع الكتب ونسخها فحسب ولكنها كانت مجمعاً للأدباء ومحلا للمناظرات .

(٤) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصرى ص ١٨ — ١٩ وص ٢٣ — ٢٤

(٢)

الأدباء

كان حظ النثر الفنى أعظم من حظ الشعر فى العصر الاخشيدى . وكان فى هذا النثر المسحة العراقية والميل إلى السجع والمزاوجة مع إطناب فى اللفظ وتكرار للمعنى وإقبال على الجمل القصيرة [١] .

وكان زعيم الكتاب فى هذا العصر ابراهيم بن عبدالله بن محمد النجيرمى . وكان خبيراً بعلوم العربية ، أخذ النحو عن الزجاج وأخذ عنه بعض المصريين ومنهم أبو الحسين المهلبى وجنادة اللغوى . ومن انشائه الكتاب الذى أرسله الاخشيد الى المانوس ملك الروم [٢] ، وكان قد ورد الى الاخشيد « كتاب المانوس عظيم النصرانية يفتخر فيه ويزعم أن له المنة عليه فى خطابه إذ جرت عادته ألا يخاطب إلا خليفة » [٣] فقرئ هذا الكتاب على الاخشيد فطلب الى كتابه إعداد رد له ، وكتب جماعة منهم ، ووقع اختيار الأمير على الرد الذى أعده النجيرمى فأرسله الى حاكم بيزنطة . وقد أعجب النجيرمى نفسه بالكتاب فنسخ منه نسخا وأنفذها الى العراق يفتخر بها [٤] . ولما كان لهذا الكتاب شهرة كبيرة فى تاريخ الاخشيديين والنثر فى عصرهم فانا ننقله فيما يلى [٥] :

« من محمد بن طغج مولى أمير المؤمنين ، الى أرمانوس عظيم الروم ومن يليه . سلام بقدر ما أنتم له مستحقون ، فانا نحمد الله الذى لا اله إلا هو ونسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أنظر أحمد أمين بك : ظهر الاسلام ج ١ ص ١٧٣ وزكى مبارك : النثر الفنى فى القرن الرابع .

(٢) هو رومانوس لكابينوس Romanus Lacapenus الذى استولى على عرش بيزنطة من سنة ٩١٩ إلى ٩٤٤م وكان الآمر الناهى فحجب بذلك الأمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجينيتوس Constantine Porphyrogenitus الذى امتد حكمه نظرياً من ٩١٢ إلى ٩٥٩م . (٣٠٠ — ٣٤٨ هـ)

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ١٨

(٤) المرجع نفسه ص ٢٣

(٥) المرجع نفسه ص ١٨ — ٢٣ ، والقلقشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٠ — ١٨

أما بعد ، فقد ترجم لنا كتابك الوارد مع نقولا واسحاق رسوليك ، فوجدناه مفتتحا بذكر فضيلة الرحمة ، وما نمى عنا اليك ، وصح من شيمنا فيها لديك ، وبما نحن عليه من المعدلة وحسن السيرة فى رعايانا ، وما وصلت به هذا القول من ذكر الفداء والتوصل الى تخليص الأسرى الى غير ذلك مما اشتمل عليه وتفهمناه .

فأما ما أطنبت فيه من فضيلة الرحمة فمن سديد القول ، الذى يليق بذوى الفضل والنبل . ونحن بحمد الله ونعمه علينا بذلك عارفون ، واليه راغبون ، وعليه باعثون ، وفيه بتوفيق الله ايانا مجتهدون ، وبه متواصون وعاملون ، وإياه نسأل التوفيق لمراشد الأمور وجوامع المصالح بمنه وقدرته .

وأما ما نسبته الى أخلاقنا من الرحمة والمعدلة ، فانا نرغب الى الله جل وعلا الذى تفرد بكمال هذه الفضيلة ، ووهبها لأوليائه ثم أثابهم عليها ، أن يوفقنا لها ، ويجعلنا من أهلها ، ويسرنا للاجتهاد فيها ، والاعتصام من زيغ الهوى عنها ، وعرّة القسوة بها ، ويجعل ماأودع قلوبنا من ذلك موقوفا على طاعته ، وموجبات مرضاته[1] ، حتى نكون أهلا لما وصفتنا به ، وأحق حقا بما دعوتنا اليه ، وممن يستحق الزلفى من الله تعالى ، فانا فقراء الى رحمته . وحق لمن أنزله الله بحيث أنزلنا ، وحمّله من جسيم الأمر ماحمّلنا ، وجمع له من سعة الممالك ما جمع لنا بمولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، أن يبتهل الى الله تعالى فى معونته لذلك وتوفيقه وإرشاده ، فان ذلك اليه وبيده : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

وأما ما وصفته من ارتفاع محلك عن مرتبة من هو دون الخليفة فى المكاتبة لما يقتضيه عظم ملككم ، وأنه الملك القديم الموهوب من الله ، الباقى على الدهر ، وانك انما خصصتنا بالمكاتبة لما تحققته من حالنا عندك ، فان ذلك لو كان حقا ، وكانت منزلتنا كما ذكرته تقصر عن منزلة من تكاتبه ، وكان لك فى ترك مكاتبتنا غنم ورشد ، لكان من الأمر البيّن أنّ أحظى وأرشد وأولى من حلّ محلّك أن يعمل بما فيه صلاح رعيّته ، ولا يراه وصمة ولا نقيصة ولا عيبا ، ولا يقع فى معاناة صغيرة من الأمور

(١) لعلها : موجبها لمرضاته .

تعقبها كبيرة ، فان السائس الفاضل قد يركب الأخطار ، ويخوض الغمار ، ويعرّض مهجته ، فيما ينفع رعيّته . والذى تجشّمته من مكاتبتنا ان كان كما وصفته فهو أمر سهل يسير ، لأمر عظيم خطير ، وجلّ نفعه وصلاحه وعائدته تخصّكم ، لأن مذهبنا انتظار إحدى الحسنيين ، فمن كان منّا فى أيديكم فهو على بيّنة من ربه ، وعزيمة صادقة من أمره ، وبصيرة فيما هو بسبيله ، وإن فى الأسارى من يؤثر مكانه من ضنك الأسر وشده البأساء على نعيم الدنيا وخيرها لحسن منقلبه ، وحميد عاقبته ، ويعلم أن الله تعالى قد أعاذه من أن يفتنه ، ولم يعذه من أن يبتليه . هذا الى أوامر الانجيل الذى هو إمامكم ، وما توجبه عليكم عزائم سياستكم ، والتوصل الى استنقاذ أسرائكم . ولولا أنّ إيضاح القول فى الصواب ، أولى بنا من المسامحة فى الجواب ، لأضربنا عن ذلك صفحا . إذ رأينا أنّ نفس السبب الذى من أجله سمّا الى مكاتبة الخلفاء عليهم السلام من كاتبهم ، أو عدا عنهم الى من حلّ محلّنا فى دولتهم ، بل الى من نزل عن مرتبتنا ، هو أنه لم يثق من منعه ، ورد ملتمسه ممن جاوره ، فرأى أن يقصد به الخلفاء الذين الشّرف كلّه فى اجابتهم ، ولا عار على أحد وان جلّ قدره فى ردّهم ، ومن وثق فى نفسه ممن جاوره ، وجد قصده أسهل السبيلين عليه ، و أدناها الى ارادته ، حسب ما تقدم لها من تقدّم . وكذلك كاتب من حل محلّك من قصر عن محلنا ، ولم يقرب من منزلتنا ، فهالكنا عدة ، كان يتقلد فى سالف الدهر كل مملكة منها ملك عظيم الشأن .

فمنها ملك مصر الذى أطغى فرعون على خطر أمره ، حتى ادعى الالهية وافتخر على نبى الله موسى بذلك .

ومنها ممالك اليمن التى كانت للتبابعة ، والاقيال العباهلة : ملوك حمير ، على عظم شأنهم ، وكثرة عددهم .

ومنها أجناد الشام التى منها جند حمص ، وكانت دارهم ودار هرقل عظيم الروم ومن قبله من عظمائها . ومنها جند دمشق على جلالته فى القديم والحديث ، واختيار الملوك المتقدمين له . ومنها جند الأردن على جلالة قدره ، وأنه دار المسيح صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والحواريين . ومنها جند فلسطين

وهى الأرض المقدسة ، وبها المسجد الأقصى ، وكرسى النصرانية ، ومعتقد غيرها ، ومحج النصارى واليهود طرا ، ومقر داود وسليمان ومسجدهما . وبها مسجد إبراهيم وقبره وقبر اسحاق ويعقوب ويوسف وإخوته وأزواجهم عليهم السلام ، وبها مولد المسيح وأمه وقبرها .

هذا إلى ماتقلده من أمر مكة المحفوفة بالآيات الباهرة ، والدلالات الظاهرة ، فانا لو لم نتقلد غيرها لكانت بشرفها وعظم قدرها وما حوت من الفضل توفى على كل مملكة ، لأنها محج آدم ومحج إبراهيم وارثه ومهاجره ومحج سائر الأنبياء وقبلتنا وقبلتهم عليهم السلام ودارة وقبره ومنبت ولده ومحج العرب على مر الحقب ومحل أشرافها وذوى أخطارها على عظم شأنهم وفخامة أمرهم . وهو البيت العتيق ، المحرم المحجوج اليه من كل فج عميق ، الذى يعترف بفضله وقدمه أهل الشرف ، من مضى ومن خلف ، وهو البيت المعمور ، وله الفضل المشهور .

ومنها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم المقدسة بتربته ، وانها مهبط الوحى ، وبيضة هذا الدين المستقيم الذى امتد ظله على البر والبحر ، والسهل والوعر ، والشرق والغرب ، وصحارى العرب على بعد أطرافها ، وتنازح أقطارها ، وكثرة سكانها فى حاضرتها وباديتها ، وعظمها فى وفودها وشدتها ، وصدق بأسها ونجدتها ، وكبر أحلامها ، وبعد مرامها وانعقاد النصر من عند الله برايتها . وإن الله تعالى أباد خضراء كسرى وشرد قيصر عن داره ومحل عزه ومجده بطائفة منها . هذا إلى ماتعلمه من أعمالنا ، وتحت أمرنا ونهينا ثلاثة كراسى من أعظم كراسيكم : بيت المقدس وأنطاكية ، والاسكندرية . مع ما الينا من البحر وجزائره ، واستظهارنا بأنم العتاد . وإذا وفيت النظر حقه علمت أن الله تعالى قد أصفانا بجل الممالك التى ينتفع الأنام بها ، وبشرف الأرض المخصوصة بالشرف كله دنيا وآخرة ، وتحققت أن منزلتنا بما وهبه الله لنا من ذلك فوق كل منزلة ، والحمد لله ولى كل نعمة .

وسياستنا لهذه الممالك قريبها وبعيدها على عظمها وسعتها بفضل الله علينا وإحسانه الينا ومعونته لنا وتوفيقه إيانا ، كما كتبت الينا وصح عندك من حسن السيرة ، وبما يؤلف بين قلوب سائر الطبقات من الأولياء والرعية ويجمعهم على الطاعة واجتماع الكلمة ، ويوسعها الأمن والدعة فى المعيشة ويكسبها المودة والمحبة .

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا على نعمه التى تفوت عندنا عدد العادين ، وإحصاء المجتهدين ، ونشر الناشرين ، وقول القائلين ، وشكر الشاكرين . ونسأله أن يجعلنا ممن تحدث بنعمته عليه شكراً لها ، ونشراً لما منحه الله منها ومن رضى اجتهاده فى شكرها ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها ، وكان سعيه مشكورا ، انه حميد مجيد .

وما كنت أحب أن أباهيك بشىء من أمر الدنيا ، ولا أتجاوز الاستيفاء لما وهبه الله لنا من شرف الدين الذى كرمه وأظهره ، ووعدنا فى عواقبه الغلبة الظاهرة ، والقدرة القاهرة ثم الفوز الأكبر يوم الدين . لكنك سلكت مسلكا لم يحسن أن نعدل عنه ، وقلت قولا لم يسعنا التقصير فى جوابه ، ومع هذا فانا لم نقصد بما وصفناه من أمرنا مكاثرتك ، ولا اعتمدنا تعيين فضل لنا نعوذ به ، اذ نحن نكرم عن ذلك ، ونرى أن نكرمك عند محلك ومنزلتك ، وما يتصل بها من حسن سياستك ومذهبك فى الخير ومحبتك لأهله ، وإحسانك لمن فى يدك من أسرى المسلمين ، وعطفك عليهم ، وتجاوزك فى الاحسان اليهم ، جميع من تقدمك من سلفك . ومن كان محمودا فى أمره ، رُغب فى محبته ، لأن الخير أهل أن يحب حيث كان . فان كنت انما تؤهل لمكاتبتك ومماثلتك من اتسعت مملكته ، وعظمت دولته ، وحسنت سيرته ، فهذه ممالك عظيمة ، واسعة جمة ، وهى أجل الممالك التى ينتفع بها الأنام ، وسر الأرض المخصوصة بالشرف . فان الله قد جمع لنا الشرف كله ، والولاء الذى جعل لنا من مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مخصوصين بذلك الى مالنا بقديمنا وحديثنا وموقعنا . والحمد لله رب العالمين الذى جمع لنا ذلك بمنه واحسانه ، ومنه نرجو حسن السعى فيما يرضيه بلطفه ولم يتطو عنك أمرنا فيما اعتمدناه .

وان كنت تجرى فى المكاتبة على رسم من تقدمك فانك لو رجعت الى ديوان بلدك ، وجدت من كان تقدمك قد كاتب من قبلنا من لم يحل محلنا ، ولا أغنى غناءنا ، ولا ساس فى الأمور سياستنا ، ولا قلده مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ما قلدنا ، ولا فوض اليه ما فوض الينا . وقد كوتب أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، وآخر من كوتب تكين مولى أمير المؤمنين ولم يكن تقلد سوى مصر وأعمالها .

ونحن نحمد الله كثيرا وآخرا على نعمه التى يفوت عندنا عددها عد العادين ، ونشر الناشرين . ولم نرد بما ذكرناه المفاخرة ، ولكنا قصدنا بما عددنا من ذلك حالات: أولها ، التحدث بنعمة الله علينا ، ثم الجواب عما تضمنه كتابك من ذكر المحل والمنزلة فى المكاتبة ، ولتعلم قدر ما بسطه الله لنا فى هذه المسالك . وعندنا قوة تامة على المكافأة على جميل فعلك بالأسارى وشكر واف لما توليهم وتتوخاه من مسرتهم إن شاء الله تعالى وبه الثقة ، وفقك الله لمواهب خيرات الدنيا والآخرة ، والتوفيق للسداد فى الأمور كلها ، والتيسير لصلاح القول والعمل الذى يحبه ويرضاه ويثيب عليه ، ويرفع فى الدنيا والآخرة أهله بمنه ورحمته .

وأما الملك الذى ذكرت أنه باق على الدهر لأنه موهوب لكم من الله خاصة ، فإن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . وإن الملك كله لله يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير واليه المصير ، وهو على كل شىء قدير . وإن الله عز وجل نسخ ملك الملوك وجبرية الجبارين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين وشفع نبوته بالامامة وحازها الى العترة الطاهرة من العنصر الذى منه أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، والشجرة التى منها غصنه ، وجعلها خالدة فيهم يتوارثها منهم كابر عن كابر ، ويلقيها ماض الى غابر ، حتى نجز أمر الله ووعده ، وبهر نصره وكلته ، وأظهر حجته وأضاء عمود الدين بالأئمة المهتدين ، وقطع دابر الكافرين ليحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون حتى يرث الله الأرض ومن عليها واليه يرجعون .

وإن أحق ملك أن يكون من عند الله وأولاه وأخلقه أن يكنفه الله بحراسته وحياطته ، ويحفه بعزه وأيده ، ويجلله بهاء السكينة فى بهجة الكرامة ، ويجمله بالبقاء والنجاء ما لاح فجر ، وكر دهر ، ملك امامة عادلة خلفت نبوة فجرت على رسمها وسننها ، وارتسمت أمرها ، وأقامت شرائعها ، ودعت الى سبلها ، مستنصرة بأيدها ، منجزة لوعدها ، وإن يوما واحدا من امامة عادلة خير عند الله من عمر الدنيا تملكا وجبرية .

ونحن نسأل الله تعالى أن يديم نعمه علينا ، واحسانه الينا بشرف الولاية ثم بحسن العاقبة بما وفر علينا فخره وعلاه ، ومجده واحسانه ان شاء الله ، وبه الثقة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وأما الفداء ورأيك فى تخليص الأسرى ، فانا وان كنا واثقين لمن فى أيديكم باحدى الحسنيين ، وعلى بينة لهم من أمرهم ، وثبات من حسن العاقبة وعظم المثوبة ، عالمين بما لهم ، فان فيهم من يؤثر مكانه من ضنك الأسر وشدة البأساء على نعيم الدنيا ولذتها ، سكونا الى ما يتحققه من حسن المنقلب وجزيل الثواب . ويعلم أن الله قد أعاذه من أن يفتنه ، ولم يعذه من أن يبتليه ، وقد تبينا مع ذلك فى هذا الباب ما شرعه لنا الأئمة الماضون ، والسلف الصالحون فوجدنا ذلك موافقا لما التمسته ، وغير خارج عما أحببته ، فسررنا بما تيسر منه ، وبعثنا الكتب والرسل الى عمالنا فى سائر أعمالنا ، وعزمنا عليهم فى جمع كل من قبلهم وأتباعهم بما وفر الايمان فى انفاذهم ، وبذلناهم ، وبذلنا فى ذلك كل ممكن ، وأخرنا اجابتك عن كتابك ليتقدم فعلنا قولنا ، وانجازنا وعدنا ، ويوشك أن يكون قد ظهر لك من ذلك ما وقع أحسن الموقع منك ان شاء الله .

وأما ما ابتدأتنا به من المواصلة ، واستشعرته لنا من المودة والمحبة ، فان عندنا من مقابلة ذلك ما توجبه السياسة التى تجمعنا على اختلاف المذاهب ، وتقتضيه نسبة الشرف الذى يؤلفنا على تباين النحل ، فان ذلك من الاسباب التى تخصنا واياك . ورأينا من تحقيق جميل ظنك بنا إيناس رسلك وبسطهم ، والاستماع منهم والاصغاء اليهم والاقبال عليهم ، وتلقينا انبساطك الينا والطافك ايانا بالقبول الذى يحق علينا ، ليقع ذلك موقعه . وزدنا فى توكيد ما اعتمدته ما حملناه رسلك فى هذا الوقت ، على استقلالنا

اياه ، من طرائف بلدنا وما يطرأ من البلاد علينا ، وإن الله بعدله وحكمته أودع كل قرية صنفا ليتشوف اليه من بعد عنه ، فيكون ذلك سببا لعمارة الدنيا ومعايش أهلها . ونحن نفردك بما سلمناه الى رسولك لتقف عليه ان شاء الله .

وأما ما أنفذته للتجارة فقد أمكنا أصحابك منه ، وأذنا لهم فى البيع وفى ابتياع ما أرادوه واختاروه ، لأنا وجدنا جميعه مما لايحظره علينا دين ولا سياسة . وعندنا من بسطك وبسط من يرد من جهتك ، والحرص على عمارة ما بدأتنا به ورعايته ، ورُبّ ماغرسته ، أفضل ما يكون عند مثلنا لمثلك . والله يعين على ما تنويه من جميل ، ونعتقده من خير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ومن ابتدأ بجميل لزمه الجرى عليه والزيادة ، ولا سيما اذا كان من أهله وخليقا به ، وقد ابتدأتنا بالمؤانسة والمباسطة ، وأنت حقيق بعمارة ما بيننا وباعتمادنا بحوائجك وعوارضك قبلنا ، فأبشر بتيسير ذلك ان شاء الله .

والحمد لله أحق ما ابتدئ به ، وختم بذكره ، وصلى الله على محمد نبى الهدى والرحمة ، وعلى آله وسلم تسليما » .

ولم يكن النجيرمى من كتاب الرسائل والانشاء فحسب ، بل كان ينظم الشعر فى بعض الأحيان . وقد قيل فى هذا الصدد ان الفضل بن عباس دخل على كافور الاخشيدى فقال له : أدام الله أيام سيدنا الأستاذ (بكسر الميم) فتبسم كافور إلى أبى اسحاق النجيرمى فقال أبو اسحق :

لاغَرْوَ ان لَحنَ الداعى لسيدنا ... أوغُصّ من هيبةٍ بالريق أو بَهَرَ

فمثل سيِّدِنا حالت مهابَتُه ... بين البليغ وبين القول بالحَصَرِ

فان يكن خَفضَ الأيام عن دهش ... من شدة الخوف لامن قلة البصر

فقد تفاءلتُ فى هذا لسيدنا ... والفأل مأثورة عن سيد البشر

بأن أيامه خفضٌ بلا نَصَبٍ ... وان دولتَه صفوٌ بلا كَدرِ

فأمر له كافور بثلاثمائة دينار ولابن عباس بمثلها[1] .

***

ومن أدباء العصر الاخشيدى ابن سيبويه المصرى . وهو أبو بكر محمد بن موسى ابن عبد العزيز الكندى الصيرفى المعروف بسيبويه ولد بمصر سنة ٢٨٤ وتوفى سنة ٣٥٨ وكتب بن زولاق أن سيبويه كانت فيه « خلال تشبه المتقدمين والمتصدرين ، كان يحفظ القرآن ويعلم كثيراً من معانيه وقراآته وغريبه وإعرابه وأحكامه عالما بالحديث وبغريبه ومعانيه وبالرواة . . . . ويعرف من النحو والغريب ما لقب بسببه سيبويه . ويعرف صدرا من أيام الناس والنوادر والأشعار ، وتفقه على قول الشافعى »[2] .

وكان سيبويه من تلاميذ أبى بكر محمد بن أحمد بن الحداد فقيه العصر الاخشيدى . وبلغ من علو مكانته فى الأدب ومن فكاهته فى المنادمة ان جالس أونوجور بن الاخشيد والحسين بن محمد الماذرائى . وقد رأينا فى الصفحات السابقة أنه كان يقول بالاعتزال ومما يروى فى هذا الصدد أنه قال لأستاذه ابن الحداد ذات يوم : أيدك الله امتنعت من القول بخلق القرآن وجعلت الخالق عدد آى المصحف ! وبدا كأن ابن الحداد لم يفهم ما أراد سيبويه فقال : كيف قلت ياأبا بكر ؟ فقال : نعم ! إذا لم تقل أنه مخلوق فهو خالق : فقال له أبو بكر بن الحداد : لاتدخلنى فيما لاأعرف[3] .

ويبدو أن أحد الشيوخ الذين درس عليهم سيبويه أدرك أنه يطلب العلم لوجه الله والعلم فقال له يوما : لوكان كل من سمع منى مثلك لما استحللت أن اكتم ، وكنت أنا أمضى إليهم ![4] . وهذا قول يكشف عن جانب من الحياة العلمية فى هذا العصر . ويشهد بأن كثيرا من طلبة العلم فيه كانوا ينشدون الأهداف المادية حتى اضطر مثل هذا الأستاذ إلى التصريح بأنه لوكان كل تلاميذه مثل سيبويه لسعى إليهم بنفسه ولما استحل أن يكتم من علمه شيئاً .

(١) ياقوت : معجم الأدباء ج ١ ص ١٩٩ — ٢٠٠ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣

(٢) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصرى ص ١٧ — ١٨

(٣) المرجع نفسه ص ١٩

(٤) المرجع نفسه ص ١٩

وكان سيبويه يحضر مجالس العلم فى الجامع العتيق وعند علية القوم وفى سوق الوراقين. ثم اعتل بمرض السوداء وقيل إنه وقع فى بئر فأصابه مس من الخبل أو الشذوذ وأصبح يعد من عقلاء المجانين حتى عنى ابن زولاق — وكان زميلا له فى الدرس — بجمع أخباره وتسجيل جزء من نثره ونظامه المرتجل وأخباره مع الأمراء ووجوه القوم فى عصره، ولا سيما من تناولهم بالنقد اللاذع والتهكم المر.

وقيل ان صالح بن نافع — أحد كبار الحاشية فى العصر الاخشيدى — مر على سيبويه ذات يوم فى موكب كبير بالحجاب والجند فتذكر سيبويه — وكان زميلا له فى الكتّاب — أن أبا صالح كان شيخاً نوبيا يسمسر فى العطر وأن صالحاً كان عطاراً مع أبيه وغاظه الموكب الذى يتعالى فيه على الناس فصاح به: «أى شىء هذا! أنت فاسد ابن فاسد! ارجع إلى شد الاشنان والسدر والزرنيخ» فأمر صالح بن نافع بأن يحمل سيبويه إلى المارستان. ولكن الناس غضبوا لذلك فاستدعى الاخشيد سيبويه وسأله فى بعض المسائل العلمية واقتنع بفضله فأطلقه وأمر صالح بن نافع بأن يعتذر ويحسن إليه[1].

وكان سيبويه اشتراكى الميول يكره الأغنياء وعلية القوم، وكان معظمهم يخشونه ويتقون شره، وله فى ذلك نوادر كثيرة. منها أن رجلا سأله عن رأيه فى أصحاب المهن فسأله سيبويه عن مهنته وعلم أنه يصنع الحصر، فقال: أى حصر؟ التى تعمل اعتباراً أو تعمل افتخاراً؟ فقال الرجل: حصر السامان والعبادان[2]، فقال سيبويه: هذه حصر الافتخار لا تحل لك لأنك سبب الفتنة بعمل الحصر السامان فيستزيد الغنى ويقول أنا أجلس على حصر سامان، وأما حصر الاعتبار فحصر الحلفا التى يأوى إليها الفقراء والعبدان والمساكين والسودان[3].

وقيل إن سيبويه رأى الناس يوم جمعة قد اجتمعوا فى الطرقات فاكتظت بهم فصاح: ماهذه الأشباح الواقفة والتماثيل العاكفة؟ سلط عليهم قاصفة يوم ترجف الراجفة تتبعها

(١) ابن زولاق: أخبار سيبويه المصرى ص ٢٥ — ٢٧

(٢) كان أشهر الحصر ما يصنع بعبادان وكانت حصرها تقلد فى مصر وفارس، أنظر متز: الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٠٤ وما ذكره من المراجع القديمة.

(٣) ابن زولاق: أخبار سيبويه المصرى ص ٢٧

الرادفة وتغلى قلوبهم واجفة ! فقال له رجل : هو الاخشيد ينزل الى الصلاة . فقال : هذه للأصلع البطين المسمن البدين، قطع الله منه الوتين ولاسلك به ذات اليمين ! أما كان يكفيه صاحب ولا صاحبان ولا حاجب ولا حاجبان ولا تابع ولا تابعان ، لا قبل الله له صلاة ولا قرب له زكاة ، وعمّر بجثته الفلاة [١] !

وروى أن سيبويه رأي جعفر بن الفرات وقد ركب فى موكب عظيم بعد موت كافور فقال : ما بال ابى الفضل قد جمع كتابه ولفق أصحابه وحشد بين يديه حجّابه وشمّر أنفه وساق العساكر خلفه!؟ أبلغه أن الاسلام طرق فخرج ينصره ، أو أن ركن الكعبة سرق فخرج لهذا الأمر يفكره !؟ فقال له رجل : هو اليوم صاحب الأمر ومدبر الدولة . فقال : ياعجباه ! أليس بالأمس نهب الأتراك داره وكدكوا قراره وأظهروا عواره حتى أصبح عنهم مستترا ومنهم متحجراً ، وهم إذاك يدعونه وزيراً ، صيروه اليوم عليهم أميراً ؟! ماعجبي فيهم كيف رضوه ونصبوه، بل عجبي فيهم كيف تولى أمرهم وأمن غدرهم [٢] .

ومما يدعو الى شيء من العجب أن سيبويه المصرى كان يعلن سخطه على كافور غير هيّاب [٣] وكان كافور يعلم ذلك ويأسف لأن بعض علية القوم كانوا يشملونه برعايتهم مداراة له وتخلصا من لسانه [٤] . ولكن هذا الأمير لم يتخذ أى إجراء إنجاز لعقابه أو القضاء عليه أو الانتقام منه .

ومهما يكن من الامر فان سيبويه امتاز بنثر غنى بالسجع الذى يشبه سجع الكهان ، ولكن بعض هذا النثر خفيف على السمع وتظهر فيه الصنعة الفنية

وكان لسيبويه شعر سهل ولكنه فقير الى الصور الشعرية العالية ، ومن ذلك قوله :

واخْتَرْ لنفسكَ ما زادَت فواضلهُ على نواقِصِهِ تَخْتَرْ بقسطاسِ
واقصدْ إلى العلمِ لاتطلُبْ به بَدَلا فالعلمُ من أجلِهِ كُوِّنت فى الناس

(١) ابن زولاق : اخبار سيبويه المصرى ص ٢٨
(٢) المرجع نفسه ص ٥٣
(٣) المرجع نفسه ص ٣٢ و٤٠ و٤٦
(٤) المرجع نفسه ص ٣٤ و٣٥ و٤١ و٤٣

وانبُذْ مقالةَ مَنْ ينهاكَ عن نظرٍ نبذَ الطبيبِ لداءِ القُرْحةِ الآسِي[1]

ومنه قوله حين حجبه البواب عن أحد معارفه من علية القوم :

أنا بالباب واقفٌ من صلا ة الصبح فى السَّرجُ ممسكٌ لعِنانى
ويعاينُ البواب ما أنا فيه ويَرانى كأنه لا يَرانى
واعتقادى أن استَخَفَّ بمولا ه وإسقاطِه من الإخوانِ
أو يزيلَنَّه بصفعٍ وجمعٍ فى قفاه أو يوم الأُخْدَعانِ[2]

وكان سيبويه مع ذلك خبيرا بنقد الشعر . ويروى أنه لقى المتنبى وأنكر عليه قوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بدّ

وقال : هذا كلام فاسد لأن الصداقة ضد العداوة والصداقة مأخوذة من الصدق ولو كان قال :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من مداراته بدّ

لكان أحسن وأجود[3] .

* * *

أما الشعر فى العصر الاخشيدى فكان هزيلا ، وهذه ظاهرة تستحق النظر لأن مصر أخرجت فى هذا العصر من الفقهاء والنحويين والمؤرخين من يضاهون نظراءهم فى العراق كما أن فنون العمارة والفنون الزخرفية فى هذا العصر كانت تشابه الفنون العباسية فى العراق ، ولكنا لا نجد من الشعراء المصريين فيه من يساوى شعراء العراق أمثال أبى تمام والبحترى وابن الرومى[4] .

---

(١) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصرى ص ٢٠
(٢) المرجع نفسه ص ٥٣
(٣) المرجع نفسه ص ٤٤
(٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ١ ص ١٧١ — ١٧٢

ومهما يكن من الامر فقد ظهر بمصر فى العصر الاخشيدى طائفة من الشعراء ، ومنهم أحمد بن محمد بن اسماعيل بن القاسم بن ابراهيم طباطبا نقيب الطالبيين المتوفى سنة ٣٤٥ [١] أو سنة ٣٥٢ [٢] . وقد كتب ابن سعيد أن له أدبا واسعا وشعرا مليحا فى الزهد والغزل [٣] ، وروى بعض مقتطفات من شعره [٤] ، كما روى الثعالبى أبياتا من مختاراته ومن بينها :

خليلى انى للثريا لحاسدُ وإنى على صَرف الزمان لواجدُ
أيبقى جميعها شملُها وهى سبعةٌ وأَفْقِدُ من أحببتهُ وهو واحدُ
كذلك من لم تَخْتَرِمهُ منيةٌ يَرَى عجباً فيما يرى ويُشاهدُ [٥]

والملاحظ أن معظم ما روى من شعره فى الغزل والوصف [٦] ، اللهم إلا ثلاثة أبيات من الشعر السياسى نظمها فى الخلاف على ولاية مصر بعد وفاة الاخشيد ، وقد سبق ذكرها [٧] .

ومن شعراء العصر الاخشيدى القاسم بن احمد الرسى وهو ابن الشاعر السابق وقد روى ابن سعيد والثعالبى طائفة من شعره [٨] . وأدرك القاسم الدولة الفاطمية . ومن طريف شعره يهجو ابن كلس ويحذر منه المعز الخليفة الفاطمى :

توقّ معزَّ الدين شؤمَ ابنِ كِلّسٍ ولا تقبلَنْ منهُ مقالَ مُدلِّسِ
فانَّا أَرْدْناهُ لكافورَ شربةٍ فزادَ على تقديرنا ألفَ مجاسِ [٩]

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٨
(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٥١
(٣) المرجع نفسه ص ٤٩
(٤) المرجع نفسه ص ٤٩ — ٥١
(٥) الثعالبى : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٧٠
(٦) النواجى : حلبة الكميت ص ٣٣٩
(٧) أنظر صفحة ٩٤ من هذا الكتاب .
(٨) ابن سعيد : المغرب ص ٥١ ، والثعالبى : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٧٠ — ٣٧١
(٩) الثعالبى : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٧١

وكان من أفراد أسرة طباطبا شعراء آخرون مثل ابراهيم بن أحمد الرسى وابنه الحسين بن ابراهيم [١] .

ومن شعراء الاخشيد سعيد قاضى البقر . وكان مقربا الى هذا الأمير لما امتاز به من حلو الفكاهة وحسن الحديث [٢] . ومن شعراء هذا العصر صالح بن رشدين [٣] وأحمد بن صدقة [٤] . ومنهم أبو هريرة أحمد بن عصام ، وكان من أصحاب النوادر واللهو والمجون والادمان على شرب الخمر [٥] ، وكانت له مجالس شرب فى بعض الأديرة المشهورة بخمرها العتيق ، وقد وصفها فى أشعار رواها المقريزى فى الكلام على الديارات بمصر [٦] .

ومن شعراء العصر الاخشيدى أيضاً محمد بن الحسن بن زكريا ، ومهلهل بن يموت . وقد روى لهما شعر فى رثاء الاخشيد ومدح ابنه اونوجور [٧] . ومنهم عبد الله بن محمد ابن أبى الجوع [٨] وصالح بن مؤنس [٩] .

ومما يؤسف له أن شعرا كثيرا من العصر الاخشيدى فقد ولم تسجله المراجع التى وصلت الينا . ولكن ما نعرفه من شعر هذا العصر يشهد باقبال على اللهو والمجون مع وصف للطبيعة وجمالها [١٠] ، وحب للفكاهة والدعابة .

ولسنا نريد أن نتحدث هنا عن الشعراء الذين وفدوا على مصر فى العصر الاخشيدى أو أقاموا فيها فترة من الزمن ، لأننا لا نرى للطبيعة المصرية أثرا فى شعرهم وحسبنا .

(١) الثعالبى : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٧١
(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١٠٣
(٣) المرجع نفسه ص ٨٧ — ٨٨ ، والثعالبى : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٥٧ — ٣٥٨
(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٨٧ — ٨٨ ، والثعالبى : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٨١
(٥) ابن سعيد : المغرب ص ١٠٤ والثعالبى : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٦١
(٦) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٥٠٢ و ٥٠٤
(٧) النويرى : نهاية الأرب ج ٥ ص ١٨٤ و ١٨٦
(٨) الثعالبى : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٥٣
(٩) المرجع نفسه ج ١ ص ٣٤٦ — ٣٥١
(١٠) أنظر وصف ابن طباطبا للهلال فى ابن سعيد : المغرب ص ٥٠

أن المتنبي « يسمي المقطم فى مدحه لـكافور ويسمى الاهرام فى رثائه لابى شجاع ويذكر النواطير فى هجائه لـكافور ويذكر السواقى فى مدحه لـكافور وتعريضه بسيف الدولة ولـكنه لا يزيد على التسمية والذكر . وقد طلب اليه كافور أن يصف دارا جديدة انتقل اليها فلم يزد على أن وصف كافورا وهنأه بالدار ولم يلهمه موقع الدار من النهر والجبل وما يحف بها من الحدائق والبساتين شيئا ولم ير إلا كافورا الذى يستطيع أن يمنح المـال والولاية »[1] .

بيد أن أحد هؤلاء الشعراء الوافدين على مصر يجب استثناؤه من هذا الحـكم أو يجب أن نحسبه مصريا . وهو أبو الفتح محمود بن الحسين المعروف بكشاجم وقد نشأ فى اقليم الرملة الذى كان من أملاك الاخشيديين فى ذلك العصر . ويشهد ديوان هذا الشاعر بأنه وفد على مصر عدة مرات وأنه كلـما بعد عنها حن اليها والى مابها من الرياض وحياة اللهو والمجون .

ومن شعره فى هذا الصدد :

قد كانَ شوقى إلى مصرٍ يُؤَرِّقُنِي ... فاليومُ عُدتُ وعادَتْ مصرُ لى دارَا
أغدُو إلى الجيزة الفيحاء مُصْطَحِباً ... طَوراً وطوراً أُرَجِّى السيْرَ أطوارَا
بَيْنَا أُسَامِى رئيساً فى رئاستِهِ ... اذْ رُحْتُ أُحْسَبُ فى الحَانَاتِ خَمَّارَا
اما الشبابُ فقد صاحَبْتُ شَرَّهُمُ ... وقد قَضَيْتُ لُبَانَاتٍ وأوتَارَا
من شَادِنٍ منْ بَنِى الأقباطِ يَعقِدُمَا ... بين الكَثيبِ وبينَ الخصْرِ زِنَّارَا[2]

ومنه أيضا :

سلامٌ على دَيْرِ القُصَيْرِ وسِجْنِهِ ... فَجنَّاتِ حُلْوَانٍ إلى النَّخَلات
منازلُ كانَتْ لِى بِهِنَّ مآربُ ... وكانَتْ مواخيرى ومُنْتَزَهَاتى
هُنالِكَ تَصفُو لى مشاربُ لذَّتِى ... وتَصْحُبُ أيامُ السُّرور حياتى[3]

(١) طه حسين : مع المتنبى ص ٥٥١
(٢) ديوان كشاجم ص ٦٤
(٣) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٥٠٢

(٣)

العلمـــاء

(ا) النحويون

أدرك العصر الاخشيدى من علماء النحو احمد بن محمد بن ولاد المتوفى سنة ٣٣٢[١] . وهو من أسرة اشتهرت بالدراسات النحوية . وقال عنه المبرد انه شيخ الديار المصرية فى العربية . وقد رحل الى بغداد وأخذ النحو عن الزجاج وعاد الى مصر فألف كتاب «الانتصار لسيبويه» وكتاب « المقصور والممدود»[٢] . ونبغ من النحويين بمصر فى بداية العصر الاخشيدى أيضا أبوجعفر النحاس، وقد درس النحو فى العراق عن الأخفش الصغير والمبرد والزجاج وكان زميلا لابن ولاد فى الدراسة بالعراق وفى التدريس بمصر . وقد حذق فضلا عن ذلك علوم القرآن وألف كثيراً فى علوم اللغة وفى الأدب وفى تفسير القرآن وإعرابه ومعانيه ومات سنة ٣٣٨ . وكان له ولابن ولاد الفضل فى اطراد نمو الدراسات اللغوية والنحوية بمصر وتلقى العلم عليهما كثير من المصريين ونشطت حركة التأليف[٣] .

وممن أدرك العصر الاخشيدى من النحويين المصريين محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلم المتوفى سنة ٣٣٠ . وقيل انه كان يعلم الأمراء النحو[٤] .

(ب) المؤرخون

قد يكون أكبر نصيب لمصر فى الثقافة الاسلامية ما كتبه أبناؤها فى التاريخ . وقد نبغ من المؤرخين المصريين فى فجر الاسلام ابن عبد الحكم . أما العصر الاخشيدى فقد أخرج من المؤرخين ابن يونس والكندى وابن زولاق .

---

(١) السيوطى : بغية الوعاة ص ١٠٥ و١١٢ و١٦٩

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٠١ — ٢٠٣

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٥ وياقوت : معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٢٤ — ٢٣٠

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٤

أما ابن يونس الصّدَفى [١] فقد تحدثنا عنه فى الصفحات السابقة عند الكلام على الفقهاء وذكرنا أنه كان يعنى بالتاريخ ولا سيما للبحث فى المحدثين . وقيل انه جمع لمصر تاريخين: أحدهما وهو الأكبر يختص بالمصريين ، والآخر وهو صغير يشتمل على ذكر الغرباء الواردين على مصر . ويبدو أن بعض معاصريه كانوا لا يثقون بما يكتبه فى التاريخ وأن آخرين كانوا يتصدون للدفاع عنه ، كما يتبين من الأبيات الآتية التى قيلت فى رثائه سنة ٣٤٧ هـ :

أبَا سَعِيدٍ وما نالُوكَ إنْ نُشِرَتْ ... عَنْكَ الدواوينُ تصديقاً وتصويبَا

مازالتَ تلهَجُ بالتاريخ تكتبُهُ ... حتى رأيْنَاكَ فى التاريخ مكتُوبَا

نشرتَ عن مصرَ من سكانِها علماً ... مُبَجَّلاً بجمال القومِ منصُوبَا

كشَفْتَ عن فَخْرِهم للناسِ ما سَجَعَتْ ... وَرْقُ الحَمَامِ على الأغصَانِ تَطْرِيبَا

أعربتَ عن عَرَبٍ نَقَّبْتَ عن نُجُبٍ ... سارَتْ مناقِبُهُمُ فى الناسِ تنقيبَا

أنْشَرتَ ميِّتَهُم حياً بنسبته ... حتى كأنْ لَمْ يَمُتْ إذْ كانَ منسوبا [٢]

أما الكندى فشيخ المؤرخين المصريين قبل الدولة الفاطمية . وهو محمد بن يوسف ابن يعقوب بن حفص بن يوسف التجيبى الكندى، ولد سنة ٢٨٣ وتوفى سنة ٣٥٠. والراجح أنه تلقى العلم فى مصر إذ ليس لدينا ما يشير الى أنه رحل الى غيرها من البلاد . ومهما يكن من الأمر فقد درس العلوم الدينية ، ولاسيما الحديث ، ثم انصرف الى التاريخ والتأليف فيه فكتب طائفة من الكتب لم يصل الينا معظمها ولكنها كانت أساسا لكتب أخرى ألفت فى موضوعها فى العصور التالية . ومن ذلك أنه ألف كتابا فى الخطط [٣] . وقد أشار

(١) نسبة إلى قبيلة الصدف .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٩ — ٣٥٠

(٣) بدأ المقريزى الفصل الذى عقده لذكر الخطط التى كانت فى مدينة الفسطاط بقوله : « اعلم أن الخطط التى كانت بمدينة فسطاط مصر بمنزلة الحارات التى هى اليوم بالقاهرة فقيل لتلك فى مصر خطة وقيل لها فى القاهرة حارة » أنظر المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٩٦ — ٢٩٧

اليه المقريزى حين قال فى مقدمة كتابه « الخطط » ان أول من رتب خطط مصر وآثارها وذكر أسبابها فى ديوان جمعه هو ابو عمر محمد بن يوسف الكندى [١] . كما أن أبا صالح الأرمنى أشار فى كنابه كنائس وديور القاهرة [٢] الى كتاب خطط مصر للكندى ، فضلا عن أن ابن دقماق المتوفى سنة ٨٠٩ نقل فى كتابه الانتصار لواسطة عقد الامصار [٣] أخبارا عن الكندى يرجح أنها من كتاب عن الخطط لأنها تتصل بالفسطاط وخرائبها وأزقتها وما الى ذلك .

ويبدو أن الكندى ألف كتاباً عن جامع عمرو سماه « أخبار مسجد أهل الراية الأعظم » [٤] . والمعروف أن أهل الراية خليط من القبائل التى لم تكن ممثلة فى جيش عمرو بن العاص تمثيلا يسمح بأن يكون لكل منها خطة مستقلة فى الفسطاط ؛ فجمعهم عمرو فى خطة سماها أهل الراية . كما ألف الكندى « كتاب الموالى » تحدث فيه عن الموالى الذين ارتقوا فى مصر ونالوا المراتب العالية فترجم لهم وكتب أخبارهم [٥] . وكتب الكندى مؤلفات أخرى ضاع معظمها . ولكن أعظم مؤلفاته هو الكتاب الذى وصل إلينا ووقف على طبعه المستشرق الانجليزى جست ، وهو « كتاب الولاة وكتاب القضاة » وقد أشرنا فى التصدير إلى مكانة هذا الكتاب بين المراجع الأصيلة فى تاريخ مصر الإسلامية منذ الفتح العربى إلى وفاة الأخشيد . والواقع أن المؤرخين المصريين الذين جاءوا بعد الكندى نقلوا عنه كثيراً . ولا ريب أنه سبقهم إلى الكتابة فى خطط مصر وآثارها وفى تاريخ قضاتها . وقد حذا حذوه فى الموضوع الأول ابن زولاق والقضاعى وابن دقماق والمقريزى والأوحدى والسيوطى . ونسج على منواله فى الكتابة عن القضاة ابن زولاق وابن حجر العسقلانى وابن شاهين .

---

(١) المقريزى : الخطط ج١ ص ٤

(٢) ص ٢٩ و٣٢ و١٠٧

(٣) ج ٤ ص ٧ — ٩ و١١ و١٣ و١٨ و١٩ و٢٣ و٥٣ و٦٧ و٨٦ و١٠٨ و١٠٩

(٤) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٤٦ وابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ١٤

(٥) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٧١ و ج ٢ ص ١٣٧ و١٦١ وابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ٥١

ومن الأخطاء الشائعة أن الكندى ألف كتابا فى « فضائل مصر »[١] . ولكن الحقيقة أن صاحب هذا الكتاب هو ابنه عمر[٢] . وقد كتب فى مقدمته أن الذى أمره بتأليفه هوكافور الاخشيدى وأشار إلى والده الكندى بين العلماء الذين جمع من كتبهم ما أمره به كافور ، ثم ذكره ثانية بين علماء مصر « الذين برع كل منهم فى مذهبه والذين لكل واحد منهم من الكتب المصنفة ما يعجز عن نظيرها سائر أهل الدنيا » .

أما ابن زولاق فهو الحسن بن ابراهيم بن الحسين الليثى بالولاء[٣] . ولد سنة ٣٠٦ وتوفى سنة ٣٨٧ و درس على الفقيه أبى بكر بن الحداد ، وعلى المؤرخ أبى عمر الكندى ، وعنى بتاريخ مصر وكتب ذيلا لكتاب أمراء مصر وقضاتها للكندى . كما ألف كتابا فى سيرة الاخشيد ، وكتابا فى أخبار سيبويه المصرى[٤] ، وقد تحدثنا عنهما فى التصدير ويبدو أنه ألف كتاباً فى سيرة كافور وكتابا آخر فى سيرة المذارئيين . ولعله صنف كتاباً مستقلا فى سيرة محمد بن على المذارئى[٥] وألف فضلا عن ذلك كتباً فى « فضائل مصر » وفى خطط مصر وفى تاريخ مصر على السنين ، وكتباً أخرى فى سيرة جوهر وسيرة المعز وسيرة العزيز[٦] .

ومن المؤرخين المصريين الذين أدركوا العصر الأخشيدى سعيد بن البطريق المتوفى سنة ٣٢٨ هـ وهو البطريرك الرومى الملكانى افتيشيوس وكان طبيباً مشهوراً بالفسطاط[٧] . ثم نصب بطريركا على الاسكندرية سنة ٣٢١ ، وقد عني بالتاريخ وكتب فيه مؤلفاً مشهوراً هو « نظم الجوهر أو التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » وتحدث فيه عن التاريخ منذ الخليقة إلى العصر الذى عاش فيه .

---

(١) فى دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة من هذا الكتاب (تاريخ ٤٢٢) .

(٢) راجع صفحة ١٤ من المقدمة الانجليزية التى كتبها جست لكتاب الولاة والقضاة .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٦٧ ، وياقوت : معجم الأدباء ج ٧ ص ٢٢٥

(٤) من المحتمل أن مخطوطة أخبار سيبويه المصرى التى طبعت فى مصر ليست تامة ، لأن فى بعض كتب الأدب قصصاً عن هذا الأديب لا تضمها هذه المخطوطة ، أنظر مثلا الحصرى القيروانى : زهر الآداب (طبعة زكى مبارك ص ٢٠٦ — ٢٠٧) .

(٥) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٥٧

(٦) راجع صفحة ٤٥ من مقدمة جست لكتاب الولاة والقضاة .

(٧) ابن ابى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ٨٦

obeikandl.com

الباب العاشر

السياسة الداخلية

obeikandl.com

obeikandl.com

السياسة الداخلية

(١)

السياسة الدينية

عرفنا فى الأبواب السابقة أن الأمراء الاخشيديين كانوا يعظمون العلويين و يظهرون لهم التقدير فى شتى المناسبات . وكانت للاخشيد ولكافور قصص مشهورة فى هذا الصدد روينا معظمها فى مواضع شتى من هذا الكتاب [١] .

ومع ذلك فقد كان الجند السودان والترك يتعصبون على الشيعة ، ولا سيما فى آخر عهد الدولة الأخشيدية . وقد بلغت الفتنة فى يوم عاشوراء سنة ٣٥٠ مبلغاشديدا فى الفسطاط فنشب القتال بين الجند السنيين من السودان والترك و بين الشيعة . وكان الجنود يسألون من يقابلونه : من خالك ؟ فان لم يقل معاوية ضربوه . وطاف أحد المتحمسين من السودان يصيح فى الطرقات : معاوية خال على ! و تبعه العامة. وكانت الحكومة تبذل جهودها فى المحافظة على النظام ، والظاهر أن زمام الامور أفلت من يدها فى هذه المسألة . وأصبح كثير من الناس يرددون تلك الصيحة التى يعرف بها السنى : معاوية خال على ! بل إن شيخين من العامة كانا يقفان على باب جامع عمرو فى كل يوم جمعة ويناديان فى وجوه الناس : معاوية خالى وخال أمير المؤمنين وكاتب الوحى وردیف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانا يصيحان فى وجه أبى جعفر مسلم الحسينى : معاوية خال على ، ولما ورد الخبر بقيام بنى حسن بمكة ومحاربتهم الحاج ونهبهم ، خرج كثير من المصريين فلقوا كافورا الاخشيدى بالميدان ظاهر مدينة مصر وضجوا وصاحوا : معاوية خال على ، وسألوه أن يبعث لنصرة الحاج على الطالبيين [٢] .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٦ و١٨ و٣٧ و٣٨ و٤٢ و٤٧ ٤٨

(٢) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣٤٠

وحدث فى سنة ٣٥٣ أن أخذ رجل من كبار الشيعة فضرب وعذب حتى مات فى السجن ، فحمل ليلا ودفن فمضى جمع من الناس لينبشوا قبره وأرسلت الحكومة طائفة من الجند لتمنعهم من ذلك وقام قتال بين الجند والعامة[١] . واضطر كافور محافظة على النظام إلى فرض نظام يكاد يشبه نظام منع التجول فى عصرنا الحاضر وأمر بتشديد الحراسة على أبواب المدينة المؤدية إلى الصحراء ومنع الناس من الخروج[٢] .

وفى سنة ٣٥٦ كتب الناس على المساجد فى مدح الصحابة وتفضيلهم على العلويين فأمر كافور بازالة ما كتبوا « فحدثه جماعة فى إعادة ذكر الصحابة على المساجد فقال : ماأحدث فى أيامى ما لم يكن . وما كان فى أيام غيري فلا أزيله . وما كتب فى أيامى أزيله . ثم أمر من طاف وأزاله من المساجد كلها[٣] .

أما السياسة التى كان الأمراء الاخشيديون يتبعونها مع أهل الذمة فلم تكن سياسة ثابتة . ولكن الواضح من النصوص التاريخية أن الاخشيديين كانوا لا يضطهدون المسيحيين وأن سوء المعاملة التى كانوا يشكون منها فى بعض الأحيان لم تكن موجهة إليهم بصفتهم الطائفية وإنما كان الأمراء الاخشيديون ولا سيما الاخشيد نفسه يعملون على مصادرة أموالهم أحيانا كما كانت تصادر أموال كثير من المسلمين فى ذلك العصر .

وكان الخلاف بين المسيحيين ينتهى الى الأمير الاخشيدى فى بعض الحالات ، فيفصل فيه بشىء من العنف . وقد ينتهز الفرصة فيعمل على أن ينال شيئاً من أموال الكنيسة أو كنوزها[٤] .

وكان موضوع بناء الكنائس وتعميرها من الموضوعات التى لم يكن للمسلمين فيها سياسة ثابتة . فكان يسمح للنصارى فى بعض الأحيان ببناء كنائس جديدة وأحيانا أخرى كانوا يمنعون حتى من إصلاح الكنائس القديمة[٥] . وحدث سنة ٣٢٦ أن انهدم جانب

(١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣٤٠
(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ١٩٨
(٣) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣٤٠
(٤) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ٩٥ والمقريزى : الخطط ج ٢ ص ٤٩٥
(٥) أنظر متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٧٠ والمراجع التى أشار اليها .

من كنيسة أبي شنودة ، بمصر فبذل النصارى للاخشيد مالا كثيرا ليطلق لهم عمارتها فأمر بأن تؤخذ فتوى الفقهاء . فأما ابن الحداد فأفتى بألا تعمر وبذلك أفتى الفقهاء من أصحاب مالك. ولكن فقيها اسمه محمد بن على أفتى بأن لهم أن يرموها ويعمروها . وعرف الناس فتواه فحملوا النار الى داره وأرادوا قتله فاختفى وندم على فتياه . وثار العامة وأغلقوا الدروب وأحاطوا بالكنيسة ، فأرسل الاخشيد طائفة من الجند فزحف العامة ورموهم بالحجارة فسحب الاخشيد الجند ودعا ابا بكر بن الحداد وأمره أن يذهب الى الكنيسة فيتركها قائمة إذا كانت تبقى ويهدمها إذا كانت توشك على السقوط وتنذر بالخطر. وذهب ابن الحداد ومعه أحد المهندسين واستطاعا أن يدخلا الكنيسة وطاف المهندس وفى يده شمعة ثم عاد الى ابن الحداد وقال له : تبقى هكذا خمس عشرة سنة ثم يسقط منها موضع ثم تبقى الى تمام أربعين سنة وتسقط جميعها . فانصرف ابن الحداد الى الاخشيد ونقل اليه ما حدث فأمر الاخشيد بتركها من دون عمارة . وكان أمرها كما قال المهندس . فعمرت سنة ٣٦٦ ولو تركت لسقطت [١] .

ولم يكن الرهبان يعفون من الجزية فى فجر الاسلام إلا إذا كانوا مساكين يتصدق عليهم كباقى المساكين . ولكن الحكومة كانت تتشدد فى جباية الجزية أحيانا . وقد حدث فى مصر سنة ٣١٢ أن « أخذ الرهبان والاساقفة بأداء الجزية فأخذت الجزية منهم ومن الضعفاء والمساكين ومن جميع الديارات بأسفل مصر والصعيد ومن رهبان طور سيناء ، وسافر قوم من الرهبان الى العراق واستغاثوا بالمقتدر فكتب لهم ألا تؤخذ الجزية من الرهبان ولا من الاساقفة . . . وأن يجرى أمرهم على ما كانوا عليه [٢] .

وقد وصلت الينا وثيقة من البردى مؤرخة من سنة ٣٣٠ ومحفوظة الآن فى مجموعة الارشيدوق رينر فى ڤينا وتتضمن وصلا باستلام جزية قدرها ثلث دينار وثلثا قيراط

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٢ — ٣٣ والكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٥٤ — ٥٥٥

(٢) تاريخ يحيى بن سعيد ص ٨٣

من بكام بن دانيل ، سلمها الى تيود وروس بن خائيل أمام أبو الحسن بن عيسى وقيدت فى الورقة الرابعة من سجل الديوان [1] . وهذه الوثيقة مهمة لانها من أحدث الوثائق المكتوبة على البردى منذ طغى استعمال الورق العادى فقضى فى النهاية على الكتابة على الاوراق البردية .

وحدث بعد وفاة على بن الاخشيد واستقلال كافور بالأمر أن وقع المسيحيون فى بيت المقدس ضحية لموجة من الاضطهاد لم يكن أساسها طائفيا ، وإنما كان قوامها رغبة الوالى محمد بن اسماعيل الصناجى فى الاستيلاء من البطريرك على أكثر ما يمكنه الاستيلاء عليه من المال . والواقع أن هذا الوالى أرهق بطريرك بيت المقدس بمطالبه المالية حتى اضطر الأخير الى السفر الى مصر حيث رفع شكواه الى كافور فكتب كافور الى الحسن بن عبيد الله بن طغج خليفته على الشام يأمره بمنع الصناجى عن البطريرك وقبض يده عن مطالبته بما لا يجب له عليه . وكتب الحسن بن عبيد الله بن طغج الى الصناجى فى هذا المعنى . ولكن الصناجى لم يقلع عن سياسته الغاشمة فذهب البطريرك الى الرملة حيث كان يقيم الحسن بن عبيد الله بن طغج فوجه معه الحسن طائفة من الجند ومعهم قائد يسمى تكين . وكانت مهمتهم حماية النصارى ومنع الصناجى من اضطهادهم فكبر ذلك على الصناجى وجمع عشيرته وأتباعه وقبض على تكين وجنوده واعتدى على الكنائس واشترك اليهود مع المسلمين فى هذا الاعتداء وقتلوا البطريرك [2] .

ومما يؤسف له أن المراجع التاريخية لا تذكر لنا ما فعلته الحكومة المركزية فى مصر لرد هذا الاعتداء على طائفة من رعاياها . وأكبر الظن أنها لم تفعل شيئا . ولا عجب فقد كانت الدولة الأخشيدية تكاد تحتضر فى هذا الوقت .

(1) Papyrus Erzherzog Rainer: Führer durch die Ausstellung p. 243 No. 916

(٢) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ١٢٤ — ١٢٥ ؛ وقد لاحظنا أن الأستاذ محمد كرد على سمى والى بيت المقدس المشار اليه هنا « الصنهاجى » بدلا من الصناجى ، أنظر محمد كرد على : خطط الشام ج ١ ص ٢١٥

ومما تجدر الاشارة اليه أن الاخشيد لخص سياسته الداخلية فى الكتاب الذى وجهه الى أرمانوس فى العبارات الآتية :

« وسياستنا لهذه الممالك قريبها وبعيدها ، على عظمها وسعتها بفضل الله علينا واحسانه الينا ومعونته لنا وتوفيقه إيانا ، كما كتبت الينا وصح عندك من حسن السيرة ، وبما يؤلف بين قلوب سائر الطبقات من الاولياء والرعية ، ويجمعهم على الطاعة واجتماع الكلمة ، ويوسعها الأمن والدعة فى المعيشة ويكسبها المودة والمحبة »[1].

(١) القلقشندى ج ٧ ص ١٤

obeikandl.com

(٢)

الأمن

كان الأمن مستتبا فى مصر الاخشيدية استتبابا لم تعرفه البلاد فى فترات طويلة من تاريخها قبل تولية محمد بن طغج . ولا ريب فى أن السبب فى ذلك أن الاخشيديين كانوا يحتفظون بجيش كبير لحماية ملكهم من أعدائهم على الحدود الشمالية الشرقية ومن الفاطميين الذين كانوا يهددونهم من الغرب . وطبيعى أن زمام الأمور لم يفلت من يد الحكومة إلا نادراً ، وكان ذلك حين يشتد الغلاء وينتشر الوباء ويعز وجود القمح فيقبل بعض الناس على نهب الضياع والاغارة على المزارع [١] .

وقد حدث فى سنة ٣٣٠ هـ — حين سار الإخشيد لاسترجاع الشام بعد مقتل ابن رائق — أن خلت الفسطاط من الجند وانتهز هذه الفرصة أحد العلويين ، وهو محمد بن يحى بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن موسى بن على بن أبى طالب المعروف بابن السراج وسار إلى قرية شرونة [٢] . ثم اتجه منها إلى غربى النيل فنهب سمسطا . ومن الغريب أن المراجع التاريخية لا تشرح أسباب هذه الثورة ولا أهدافها . ويبدو أن هذا العلوى لم تكن له أهداف معينة أو أنه خشى عودة الجند من الشام وإخماد ثورته والتنكيل به فسار إلى برقة حيث دخل فى طاعة الخليفة الفاطمى [٣] . ولكن هذا الثائر قدم الى مصر ثانية بعد وفاة الاخشيد ، فوصل اليها فى ربيع الآخر سنة ٣٣٥ . ويبدو أن أونوجور أخبر بقدومه ، وأنه لم يشأ الانتقام منه ، بل سمح له بالخروج للحاق بالجيش الاخشيدى فى الشام فخرج بعد أيام وتوفى بالرملة [٤] . ولسنا نعرف من المراجع التاريخية سبب عودته الى مصر ، كما أننا لا نعرف

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٢٩

(٢) قرية بالصعيد الأدنى شرق النيل وعلى مقربة من البهنسا ، أنظر ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٢٥٩ وابن الجيعان : التحفة السنية فى أسماء البلاد المصرية ص ١٦٨

(٣) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٩١

(٤) المرجع نفسه ص ٢٩٤ — ٢٩٥

هل هو الذى تقدم بالتوبة وعرض رغبته فى التكفير عن ذنبه فى ميدان القتال أم أن الحكومة الاخشيدية رأت التخلص من وجوده بمصر فأمرته باللحاق بالجند المصري فى الشام .

وقامت بعد وفاة الاخشيد ثورة أخرى حين كان كافور واونوجور فى الشام [١] . فقد خرج والى الأشمونين المعروف باسم غلبون بعد أن استبد بالأمور فى منطقة نفوذه حتى شكا منه التجار وأذاعوا أنه يريد أن يثور بها . وأعدت الحكومة جماعة من الجند سيرتهم اليه فى جمادى الآخرة سنة ٣٣٥ ولكن هذا الثائر دبّر كمينا لهم واستطاع أن يقتل كثيراً منهم وأفلت قائدهم شادن الاخشيدى بنفسه . ونظمت الحكومة جيشاً لاخضاع غلبون ولكنه خالف الجيش فى الطريق واستطاع الوصول الى الفسطاط فدخل دار الامارة ويبدو — كما مر بنا — أنه اتفق مع محمد بن على الماذرائى — على أن يقوم هذا الوزير بتدبير الأمور . ولكن الجيش الاخشيدى كر على غلبون فى الفسطاط وهزمه وطرده منها فخرج الى الشرقية ولحقه الجند الاخشيديون وكانت بينهم معركة شديدة انتهت بقتل غلبون فى ذى الحجة سنة ٣٣٦ ، وشغلت الحكومة والناس بهذه الثورة واضطربت الأمور فى تلك السنة حتى أن أحدا من المصريين لم يستطع الذهاب الى الحج فيها [٢] .

ويبدو أن بعض رؤساء العشائر البدوية كانوا يثورون على سلطان الاخشيديين في الشام . ولكن المراجع التاريخية لم تفصّل الكلام على هذه الثورات . ولسنا نعرف إلا ما ذكره أبو المحاسن فى حوادث سنة ٣٤٤ حين ذكر وفاة شعلة بن بدر الاخشيدى الذى ولى امرة دمشق من قبل أونوجور بن الاخشيد وكان شجاعا بطلا قتل فى طبرية

---

(١) مر بنا فى رواية للمقريزى فى المقفى أن كافورا فقط هو الذى كان فى الشام أنظر ص ١٥٩

(٢) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٩٥ — ٢٩٦ والمقريزى: الخطط ج ٢ ص ١٥٦ وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩٢ وج ٤ ص ٢ و Wiet : L'Egypte Arabe (Histoire de la Nation Egyptienne t. 4.) p. 140

فى حرب كانت بينه و بين مهلهل العقيلى [١] . كما جاء فى ديوان المتنبى أنه نظم قصيدة يذكر فيها قيام شبيب العقيلى على كافور وقتله بدمشق سنة ٣٤٨ ومن أبيات هذه القصيدة المشهورة :

بِرَغمِ شَبِيبٍ فارَقَ السَيفُ كَفَّهُ وَكانا على العِلاَّتِ يصطَحبانِ

كأَنَّ رِقابَ الناسِ قالَتْ لِسَيفِهِ رَفيقُكَ قَيسِيٌّ وأَنتَ يَمَانِ [٢]

وخرج على الحكومة الاخشيدية فى سنة ٣٥٢ ثائر فى بادية الشراة بالشام . وهو من بنى سليم يدعى محمد بن احمد السلمى ، واجتمع اليه أنصار كثيرون فقوى أمره وأرسل كافور الى الشام جيشا لحماية البلاد ولكنه أمر قواده أن يتركوا هذا الخارجى وشأنه والا يبدأوه بالقتال . وظل الفريقان على تلك الحال إلى أن عمل رجل من بنى عقيل على أسر هذا الثائر وحمله الى مصر . وقيل إنه اركب فيلا وطيف به فى شوارع الفسطاط تشهيرا به واعتقل مدة ثم عفى عنه [٣] .

وحدث فى سنة ٣٥٥ أن خرج بنو سليم على الحجاج السائرين من مصر والشام فقتلوا منهم عددا كبيرا ونهبوا ما كان معهم من الأموال الطائلة لأن الحجاج فى هذا العام كانوا جمعاً غفيراً ، ولا سيما أن كثيراً من أهل الثغور والشام هربوا خوفاً من الروم وحملوا ما استطاعوا حمله من أموالهم وأرادوا أن يقصدوا مكة ليسيروا منها إلي العراق [٤] .

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١٣

(٢) ديوان المتنبي ص ٤٠٤ — ٤٠٦

(٣) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ١٢١

(٤) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ٢٠٦

(٣)

السياسة المالية

كان « تضمين » الأراضى لمستغليها بمصر الاخشيدية يجرى — كما كان فى فجر الإسلام — فى المسجد الجامع كل أربع سنين فينادي على البلاد صفقات صفقات فى جامع عمرو أمام صاحب الخراج أو من يقوم مقامه ومعه المختصون من الكتاب والموظفين[١].

ومن طريف ما وصل الينا من أخبار الاخشيد أن الحسن بن طاهر العلوى كان يتخذ أشد الحذر حين يكتب الى مصر فى الفترة التى قضاها فى الشام ليسفر فى الصلح بين الاخشيد وابن رائق — وذلك بعد أن علم أن ابن رائق يراقب ما يكتبه الى مصر[٢] — فكان اذا كتب الى الاخشيد حرص على أن يرسل كتابه بواسطة حمام الزاجل ، ولكنه لم يكن يستطيع ذلك دائما فكان فى بعض الأحيان يكتب الى أخيه الحسين بن طاهر لينوب عنه فى ابلاغ الاخشيد ما يريد . وحدث ذات مرة أن ورد الى الحسين بن طاهر كتاب من أخيه الحسن يطلب فيه أن يسأل الاخشيد « أن يعفيه من ضمان بلبيس وفاقوس فانه قد عجز عنهما لقلة فائدتهما وكثرة غشيان البوادى لهما » وتعجب الحسين ابن طاهر لأن ضمان هاتين الضيعتين لم يكن فى يد أخيه الحسن . فحمل الكتاب الى الاخشيد وقرأه عليه . فاستدعى الاخشيد كاتب ديوان الخراج ، وسأله اذا كان ضمان فاقوس وبلبيس فى يد الحسن بن طاهر فأجاب بالنفى . فاستنبط الاخشيد أن الحسن بن طاهر أراد أن ينقل اليه أن ابن رائق عزم على القيام بهجوم مفاجئ على مصر وأن الواجب الاستعداد والاستعانة بحامية قوية للدفاع عن فاقوس وبلبيس . وبادر الامير الى ارسال ثلاثة آلاف جندى الى فاقوس ومثلها الى بلبيس . وكتب الحسين ابن طاهر الى أخيه الحسن : « قد أعفاك من ضمان فاقوس وبلبيس وضمنهما من يقدر عليهما »[٣] .

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٨٢

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٣٨

(٣) المرجع نفسه ص ٣٧

وفى دار الكتب المصرية بالقاهرة وثيقة بردية ترجع الى سنة ٣١٢ هـ ، أى الى قبيل العصر الاخشيدى وتتضمن تقبل أراض من كورة الأشمونين لأربع سنين متواليات أولها سنة ٣١٢ وآخرها سنة ٣١٥ [١] . وتشهد وثائق أخرى بأن الخراج كان يدفع على أقساط موزعة على السنة [٢] . وكانت جباية الضرائب على الأرض الزراعية تتمشى مع حال الزراع وأوقات الغرس والحصاد أى أنه لم يكن بد من السير طبقا للسنة الشمسية. ولما كان القوم لا يستطيعون ترك السنة الهلالية بما لها من علاقات بأمور الدين من عبادات ومعاملات فقد سارت السنتان الهلالية والخراجية مع اختلافهما جنبا لجنب ، وحدث اضطراب كبير بسبب تفاضل السنين حتى صارت الجباية الخراجية فى السنة التى تنتهى اليها تنسب فى التسمية الى ما قبلها . ولما لم يكن من الجائز كبس السنة الهلالية بشهر ثالث عشر « لأنهم لو فعلوا ذلك لتزحزحت الأشهر الحرم عن مواقعها وانحرفت المناسك عن حقائقها » لذلك كله « رأى أمير المؤمنين نقل سنة ٣٥٠ الخراجية الى سنة ٣٥١ الهلالية جمعا بينهما » [٣] .

وكان خراج مصر فى عصر الاخشيد مليونين من الدنانير فى السنة [٤] . وكتب ابن زولاق أن الاخشيد استخرج من مصر فى احدى عشرة سنة اثنين وعشرين ألف ألف دينار سوى خراج الرملة وطبرية ودمشق والسواحل [٥] . ولسنا نعرف هل كان الاخشيد يرسل كل هذا الخراج الى الحكومة المركزية فى بغداد أم كان يحتفظ بقسط كبير منه . والراجح عندنا أنه كان يرسل منه الى بغداد ما يزيد على نفقات دولته ، ولاسيما حين لم يكن مشغولا بحروب دفاعية . تقتضيه النفقات الكبيرة . ولم يكن هذا عسيرا عليه فقد كانت مصر تحمل الى بيت المال فى دار الخلافة قبيل الدولة الاخشيدية

---

(١) Grohmann : Arabic Papyri in the Egyptian Library. II. pp. 57-64.

(٢) المرجع نفسه ج ٢ ص ٣٨

(٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٧٥ — ٢٧٩ ، ومتز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٨١ — ١٨٣

(٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٩٩

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ٣٦

نحو مليونين ونصف مليون من الدنانير فى بعض الاحيان[١] . ويبدو أن زيادة الايرادات على المصروفات كان متوسطها فى عصر الاخشيد نحو مليون دينار فى السنة ، حتى اعتبر ابن اياس أن هذا الرقم هو خراج مصر فى أيام الاخشيد[٢] .

واذا صح ما ذكره أبو صالح الارمنى فى تاريخه (الكنائس ص ٣٠) فقد بلغ خراج مصر فى سنة من حكم كافور ثلاثة ملايين ومائتى وسبعين الفا من الدنانير . وكتب ابن زولاق أن كافورا جبى سنة ٣٥٦ من اقليم الفيوم وحده ستمائة وعشرين الف دينار[٣] . وقد ذكر ابن حوقل أن خراج مصر بلغ فى سنة ٣٥٩ — أى بعد سقوط الدولة الاخشيدية مباشرة على يد جوهر القائد — ثلاثة ملايين ومائتى الف دينار[٤] .

وليس فى المراجع التاريخية ما يفصل الكلام على أنواع الضرائب بمصر فى العصر الاخشيدى[٥] . ولكن المعروف أن الضرائب كانت ثقيلة وأن نظام الاحتكار كان لا يزال سائداً ببعض مرافق الحياة . وقد زار المقدسى مصر فى بداية العصر الفاطمى ، ولا ريب فى أن قسطاً كبيراً من حديثه عنها ينصرف إلى العصر الاخشيدى . ومما كتبه عن المكوس : « أما الضرائب فثقيلة بخاصة تنيس ودمياط وعلى ساحل النيل . وأما ثياب الشطوية فلا يمكن القبطى أن ينسج شيئا منها إلا بعد ما يختم عليها بخاتم السلطان ، ولا تباع إلا على يد سماسرة عقدت عليهم . وصاحب السلطان يثبت ما يباع فى جريدته ثم تحمل إلى من يطويها ثم إلى من يشدها بالقشر ثم إلى من يشدها فى السفط وإلى من يحزمها . وكل واحد منهم له رسم يأخذه ، ثم على باب الفرضة يؤخذ

---

(١) قدامة بن جعفر : كتاب الخراج ص ٢٥١ ، متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٢١٩

(٢) ابن اياس : نشق الأزهار ص ٣٧ ؛ أنظر أيضاً عمر طوسون : مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن ص ٥٢

(٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٤٩

(٤) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٠٧

(٥) أنظر ما كتب عن الضرائب فى فجر الاسلام فى جرومان : المحاضرة الرابعة عن الأوراق البردية العربية (دار الكتب المصرية) ص ٥ وما بعدها . وسيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٣٧ — ٥٩

أيضاً شيء ، وكل واحد يكتب على السفط علامته ثم تفتش المراكب عند إقلاعها . ويوجد بتنيس على زق الزيت دينار ، ومثل هذا وأشباهه . ثم على شط النيل بالفسطاط ضرائب ثقال ، رأيت بساحل تنيس ضرائبياً جالساً ، قيل : قبالة هذا الموضع فى كل يوم الف دينار ومثله عدة على ساحل البحر بالصعيد وساحل الاسكندرية »[١] .

* * *

وكان ينص فى عقود إيجار الأراضي على دفع الخراج حتى على الأرض التى يتركها الزارع بورا . فكانت الأرض لا تعفى من الضريبة إلا إذا كانت مسجلة فى الديوان وسجلات الضرائب بوصفها بورا[٢] . وقد وصلت الينا وثيقة محفوظة الآن فى دار الكتب المصرية ، وترجع إلى سنة ٣٤٨ وتتضمن عقد ايجار أرض مساحتها ثلاثة فدادين وإيجارها ثلاثة دنانير فى السنة[٣] ، كما وصلت الينا وثيقة أخرى محفوظة فى مجموعة الارشيدوق رينر فى ڤينا تتضمن عقد ايجار أرض من بداية العصر الاخشيدى مساحتها ستة فدادين وإيجارها خمسة عشر دينارا فى السنة[٤] .

واشتهر عن الاخشيد إقباله على نكبة عماله وأغنياء دولته وفرضه الأموال عليهم . وهو ما تعبر عنه المراجع التاريخية باسم المصادرة ، وكانت المصادرة مألوفة فى الخلافة العباسية فى ذلك العهد ، وقد مر بها كثير من الوزراء والعمال وعلية القوم[٥] .

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢١٣

(٢) Grohmann : op. cit. 11 pp. 47, 69-76

(٣) المرجع نفسه ج ٢ ص ٥٢ وما بعدها .

(٤) Papyrus Erzherzog Rainer : Führer durch die Ausstellung p. 253 No. 967

وانظر فى المرجع السابق الأستاذ جرومان (ج ٢ ص ٣٢ — ٣٣) جدولا بقيمة الايجار التى ترد فى الوثائق البردية فى أربعة القرون الأولى .

(٥) أنظر متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٣ و ١٦٢ و ١٧٠ و ١٩١ — ١٩٥ و ٢٠٤ ، وما ذكر من المراجع المختلفة ، ولا سيما تاريخ الوزراء للصابى ، راجع ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ١٠٩

وممن صادرهم الاخشيد أبو بكر محمد بن على المـاذرائى [١] ، ومحمد بن كلا [٢] ، وبارشكور [٣] وعمران بن فارس [٤] . ولـكن الواقع أن معظم من كانوا يصادرون كانوا من كبار موظفى الدولة أو ممن كانت لهم معاملات معها أصابوا منها مالا وفيرا . وكما كان الناس فى دار الخلافة يتوقعون المصادرة ويعملون على إخفاء أموالهم وخداع أولى الأمر [٥] ، كذلك كان القوم فى مصر الاخشيدية يبتدعون الوسائل لاخفاء ثرواتهم ومن بينهم من اتخذ له فسقية دس فيها مائة ألف دينار دون أن ينتبه البنّـاء [٦] .

وكان الاخشيد لا يعدم الحجج ليبرر أمام الناس ما يقوم به من المصادرات من وقت الى آخر . فكان يذهب إلى أنه إنمـا يفعل ذلك لسد نفقات دولته والانفاق على جيوشه ، ولمعاقبة الموظفين الذين يرتشون أو يسيئون استعمال ما لوظائفهم من النفوذ والجاه . بل إن الاخشيد سبق ما نعرفه الآن من ضرائب التركات فكان يعمل على الاستيلاء على جزء من تركة كبار التجار والموظفين [٧] . ومن ذلك أن عثمان ابن سليمان البزاز توفى سنة ٣٢٣ هـ فأخذ الاخشيد من ميراثه نحو مائة ألف دينار [٨]

ومع ذلك كله فقد كان الاخشيد رقيقا فى معاملة الذين يصادرهم فلم يعذب أحدا ، بل كان يأبى أن يرى الذين يأمر بمصادرتهم إلا بعد أن تنتهى المصادرة [٩] .

ولم يؤثر عن كافور أنه مال إلى مصادرة عماله وأغنياء البلاد فى عصره . أما بعد وفاته فقد قبض الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات على كثير من وجوه القوم فى مصر ، ومنهم

---

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٤ — ١٦ والمقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٥٦
(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١٧
(٣) المرجع نفسه ص ١٦
(٤) المرجع نفسه ص ٨
(٥) أنظر متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٩٤ — ١٩٦ ، وما ذكره من المراجع القديمة .
(٦) ابن سعيد : المغرب ص ١٧
(٧) المرجع نفسه ص ٣٦
(٨) المرجع نفسه ص ١٧
(٩) المرجع نفسه ص ١٥ و ٣٧

يعقوب بن كلس ، وصادر منهم أموالا كثيرة [١] . ولما قدم من الرملة الحسين ابن عبيد الله بن طغج قبض على جعفر بن الفرات وصادر أمواله .

* * *

وقد اشتد الغلاء بمصر فى عصر الدولة الاخشيدية مرات عدة . وكانت الحكومة تبذل كل الجهد فى تخفيف ويلاته . فقد انتشر فى سنة ٣٢٩ غلاء عظيم واختفت الاقوات من الأسواق وعز القمح وسائر الحبوب وتبعه وباء شديد [٢] . ووقع الغلاء فى سنى ٣٣٨ و ٣٤١ و٣٤٣ [٣] . ثم وقع الغلاء الشديد فى مصر من سنة ٣٥٢ واستمر تسع سنين متتابعة وكان من الأسباب التى أضعفت الدولة الاخشيدية وعجلت سقوطها . وكان سببه الرئيسى يرجع إلى النقص فى فيضان النيل ، مما أدى إلى اختفاء القمح واضطراب الاحوال وكثرة الفتن ونهب الضياع [٤] .

« ثم مات كافور ، فكثر الاضطراب وتعددت الفتن وكانت حروب كثيرة بين الجند والامراء قتل فيها خلق كثير وانتهبت أسواق البلد وأحرقت مواضع عديدة فاشتد خوف الناس ، وضاعت أموالهم وتغيرت نياتهم وارتفع السعر وتعذر وجود الأقوات حتى بيع القمح كل ويبة بدينار . واختلف العسكر ، فلحق الكثير منهم بالحسن بن عبيد الله بن طغج ، وهو يومئذ بالرملة ، وكاتب الكثير منهم المعز لدين الله الفاطمى ، وعظم الارجاف بمسير القرامطة إلى مصر . وتواترت الاخبار بمجىء عساكر المعز من المغرب إلى أن دخلت سنة ٣٥٨ ودخل القائد جوهر بعساكر الامام المعز لدين الله وبنى القاهرة المعزية . وكان مما نظر فيه أمر الاسعار ، فضرب جماعة من الطحانين وطيف بهم وجمع سماسرة الغلات بمكان واحد وتقدم ألا تباع الغلات إلا هناك فقط ، ولم يجعل لمكان البيع غير طريق واحدة فكان لا يخرج قدح قمح إلا ويقف عليه سليمان بن عزة المحتسب » [٥] .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٣٧ — ١٣٨
(٢) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ٩٧
(٣) المقريزى : اغاثة الأمة بكشف الغمة ص ١١ — ١٢
(٤) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص١٢٩ — ١٣٠، والمقريزى : إغاثة الأمة ص١٢ — ١٣
(٥) المقريزى : إغاثة الأمة ص ١٣ — ١٤

obeikandl.com

الباب الحادي عشر

العلاقات الخارجية والغزو الفاطمي

obeikandl.com

العلاقات الخارجية والغزو الفاطمى

(١)

مع الحمدانيين

عرفنا أن الخليفة المتقى غادر بغداد وأقام عند الحمدانيين سنة ٣٣٢ [١] . ثم استدعى الاخشيد لمقابلته فى مدينة الرقة لعله يجد فيه عونا على أمير الأمراء فى بغداد. وعرفنا أن اللقاء لم يسفر عن أي نتيجة إيجابية فعاد الاخشيد الى مصر . وكان سيف الدولة يرقب الحالة عن كثب ورأى أن الفرصة سانحة لمحاولة الاستيلاء على الشام التى كان الحمدانيون يتطلعون الى انتزاعها من أيدى الاخشيديين . فسار إلى حلب وقنسرين وحمص وأنطاكية والثغور الشامية وسائر الولايات والمدن الشامية فاستولى عليها وأقام الدعوة فيها للمستكفى — الذى خلف المتقى — ولأخيه ناصر الدولة ولنفسه [٢] .

وقيل فى هذا الصدد إن الإخشيد عاد من الرقة إلى حلب ثم غادرها إلى مصر بعد أن ولى عليها من قبله أبا الفتح عثمان بن سعيد بن العباس بن وليد الكلابى . ولكن عشيرته من الكلابيين حسدوه على هذه الولاية وراسلوا سيف الدولة بن حمدان ليسلموا اليه حلب ، وكان سيف الدولة قد طلب من أخيه ناصر الدولة ولاية فقال له ناصر الدولة: الشام أمامك وما فيه أحد يمنعك منه . وعرف سيف الدولة اختلاف الكلابيين وضعف أبى الفتح عن مقاومته فسار إلى حلب ودخل أبو الفتح فى طاعته [٣] .

---

(١) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ١٤٤

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٤١

(٣) كمال الدين عمر بن العديم الحلبي : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ص ٣٦٥ — ٣٦٧ (فى Sayf al-Daula edité par Marius Canard) .

ومهما يكن من الأمر فان الاخشيد كتب إلى المستكفى يشكو إليه سيف الدولة . ولكن أمير المؤمنين لم يملك إلا أن يرسل الخلع النفيسة اليه والى ابنه اونوجور . وبلغ الاخشيد أن سيف الدولة سار الى حمص يريد دمشق [١] فأرسل إلى الشام جيشا [٢] مر بدمشق وسار الى حمص فالتقى بسيف الدولة عند بلدة الرستن [٣] . وكان النصر لسيف الدولة وتقهقر الجيش الاخشيدى إلى دمشق ثم خرج منها قاصداً الرملة ليعود إلى مصر . وسار سيف الدولة فى أثر الجند المصريين يريد دمشق ، وكتب إلى أهلها كتاباً قرىء على منبر المسجد الجامع فيها وحملت نسخته إلى الاخشيد ، وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الر[illegible] من سيف الدولة ابى الحسن إلى جماعة الأشراف والعلماء والأعيان والمستورين بمدينة دمشق أطال الله بقاكم وأدام عزكم وسعادتكم وكفايتكم ونعمتكم ، كتابنا اليكم من المعسكر المنصور بظاهر عين الجر [٤] عن سلامة وجميل كفاية لمولاها خالص الدعاء والشكر . وقد علمتم — أسعدكم الله — تشاغلى بجهاد أعدائى وأعداء الله الكفرة وسبيلهم [٥] وقتلى فيهم وأخذى أموالهم وتخريبى ديارهم وقد بلغكم خبر القوانين فى هذه السنة وما أولانا الله وخولناه ، وأظفرنا به واستعملت فيهم السنة فى قتال أهل الله فما اتبعت مدبراً ولا دفعت إلى جريح حتى سلم من قد رأيتم [٦] . وقد تقدمنا إلى وشاح بن تمام بصيانتكم وحفظكم وحوط أموالكم وفتح الدكاكين وإقامة الأسواق والتصرف فى المعاش إلى حين موافاتنا إن شاء الله » [٧]

(١) ولكن كمال الدين ابن العديم (المرجع السابق ص ٣٦٨) ذهب إلى أن الاخشيد هو الذى بدأ بارسال الجيش إلى الشام .

(٢) أنظر الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٩٢ ، والمقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٢٩ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٥

(٣) عند المكان الذى يعبر فيه نهر العاصى الطريق من حمص إلى حماه ، أنظر ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٤٩

(٤) موضع بين بعلبك ودمشق ، ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٢٥٤

(٥) لعلها وسبيهم .

(٦) إشارة إلى ما فعله سيف الدولة فى الرستن حين أمر جنوده أن لا يقتلوا أحداً من الجيش الاخشيدى المنهزم وقال لجنده : الدم لى والمال لكم ! ثم أطلق سراح الأسرى وعددهم نحو أربعة آلاف ، أنظر كمال الدين ابن العديم : المرجع السابق ص ٣٦٨

(٧) ابن سعيد : المغرب ص ٤١ — ٤٢

فلما وصلت نسخة هذا الكتاب إلى الاخشيد عزم أن يسير بنفسه للقاء سيف الدولة. فاستخلف على مصر ابنه اونوجور وسار على رأس جيشه إلى دمشق، وكان سيف الدولة قد دخلها بجنده ومعه أهله[١]. ويبدو أن أحد قواد الاخشيد — واسمه عيسى كيل — كان قد انضم إلى سيف الدولة واتصل به فى دمشق، فكتب الاخشيد من الرملة إلى عيسى كيل يعده بالأموال الطائلة والمكافأة الطيبة ويمنيه بتقليده الوظائف السامية وأرسل اليه خاتمه ليبث الدعوة له بين أهل دمشق ويحضهم على الترحيب به وطرد سيف الدولة. والطريف أن عيسى هذا « شرب وسكر ودعا الناس إلى الاخشيد »[٢] ثم أفاق من سكره وهرب ليلا إلى الاخشيد فأحسن هذا الأمير جزاءه وأفلح فى دخول دمشق بعد أن فر منها سيف الدولة[٣]. وطارد سيف الدولة الاخشيد إلى حمص فقنسرين حيث نشب القتال بينهما. وكان النصر فى البداية لسيف الدولة ولكن نصره انقلب إلى هزيمة[٤]. ومع ذلك فإنه لم ينصرف بل عسكر مواجها للاخشيد[٥]. ولم تكن هزيمته حاسمة مما دعا الاخشيد إلى أن يجنح للسلم ويعمل على الصلح، وقد سفر الحسن بن طاهر بين الأميرين، وتم الصلح بينهما فى ربيع الاول سنة ٣٣٤ على أن يكون لسيف الدولة من جوسية[٦] إلى حمص إلى سائر أعمالها، وأن يكون للاخشيد من دمشق وما بين يديها

---

(١) فى بعض الروايات أنه حاصرها فقط ولم يفلح فى دخولها، أنظر ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٩

(٢) ابن سعيد: المغرب ص ٤٢

(٣) قيل ان سيف الدولة كان قد غادرها فترة قصيرة للقاء الاعراب الضاربين حولها وأنه لما عاد اليها منعه أهلها من دخولها. وربما كان ذلك بتأثير عيسى بن كيل. أنظر كمال الدين ابن العديم: المرجع السابق ص ٣٦٩

(٤) أنظر وصف هذه الموقعة فى كمال الدين ابن العديم: المرجع السابق ص ٣٦٩

(٥) وفى رواية أخرى أن سيف الدولة هرب إلى الرقة: وقيل إنه أراد دخول حلب فمنعه أهلها وان الاخشيد دخل حلب وعاث أصحابه فسادا فى أرجائها، ثم عاد إلى دمشق وانتهت المفاوضات بينه وبين سيف الدولة إلى « أن أفرج الاخشيد له عن حلب وحمص وانطاكية وقرر عن دمشق مالاً يحمله اليه فى كل سنة » أنظر كمال الدين ابن العديم: المرجع السابق ص ٣٧٠ والذهبى: تاريخ الاسلام ص ٦٥

(٦) بلدة على خمسة وثلاثين كيلو متراً إلى الجنوب الغربى من حمص: أنظر ياقوت: معجم البلدان ج ٣ ص ١٧١

إلى آخر أعمالها ، وزوجه فاطمة بنت أخيه عبيد الله بن طغج[١] . وسار سيف الدولة إلى حلب واستقر الاخشيد فى دمشق إلى أن مات فى نهاية سنة ٣٣٤ هـ .

والراجح أن الاخشيد سعى الى عقد الصلح مع سيف الدولة لأنه كان يعتقد أن انتصاره عليه لم يكن حاسما وأن الحرب بينهما ستدوم الى أن يتم النصر لسيف الدولة . وكان قواد الاخشيد وجنده يكرهون هذا الصلح ويودون مواصلة القتال للقضاء على سيف الدولة ، وقد طلبوا من شيخ من شيوخ دمشق كان الأخشيد يأنس به أن يلومه على ما تم بينه وبين سيف الدولة من الصلح والمصاهرة . فلما حدثه الشيخ فى ذلك أجاب بقوله : « اعلم أن على بن حمدان (سيف الدولة) كاتبناه من الرملة فبذلنا له فلم يفعل وكاتبناه من طبرية فامتنع ثم سرنا اليه ورزقنا الله تعالى النصر عليه وعلى أصحابه الظفر فلم ينصرف وخيم حذاءنا بوجه صفيق وقلة حياء فتوقفت عنه . فقال لى الغلمان : دعنا نمضى تلقاءه ففكرت فى قولهم ولم أخل من أحد وجهين : إما أن يهزمنا ويرزق علينا النصر فتكون الفضيحة وإما أن نرزق عليه النصر فنأخذه فأيش أعمل به ؟ هلا هو أكثر من أن أنزله فى مضرب يشبهه وأنفق عليه ما يصلح له ثم أجهزه وأرده لأخيه وأهله لأنهم لا يتركونه ؟ وأقل ما كان يكفينا له مائتا ألف دينار . ثم لا أطيق غلمانى من ادلالهم والتسحب على بما عملوا ويطلبون منى الأعمال والولايات . فرأيت أن مسالمته ومصالحته أفضل وأصلح[٢] ، وأرسلت اليه الحسن بن طاهر أعده بالأموال والخروج عن أعماله فلما رأوا الحسن بن طاهر قد مضى ازدحموا على يسبونى ويشتمونى ويسألون الله الراحة منى »[٣] .

---

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٤٢ . وقد ذكر ابن سعيد أن فاطمة هذه ابنة الاخشيد نفسه ولكن الصحيح أنها ابنة أخيه عبيد الله كما ذكر كمال الدين ابن العديم (المرجع السابق ص ٣٧٠) .

(٢) كان الحمدانيون يعرفون ذلك حق المعرفة ، وحسبنا قول شاعرهم أبى فراس الحمدانى :

فلما رأى الاخشيد ما قد أظله ... تلافاه يثنى غربه ويكاثر

رأى الصهر والرسل الذى هو عاقد ... ينال به ما لا تنال العساكر

أنظر ديوان أبى فراس الحمدانى ج ٢ ص ١١٧ و ١٤١ — ١٤٢

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٤٣

وهكذا نرى كيف كان الاخشيد بعيد النظر لا يلقى بنفسه فى مغامرات يعرف أنها لاتؤدى الى نتائج عملية . كما نرى أنه كان يؤثر أن ينال بالمال ما يعجز عن الحصول عليه بحد السيف . ويبدولنا فضلا عن ذلك أنه كان يعلم تمام العلم أن النزاع بينه وبين الحمدانيين على الشام كان لابد أن ينتهى بانتصارهم عليه ، لبعد الشقة بين مصر وبين هذا الاقليم ، ولأنه كان المجال الحيوى لتوسع الحمدانيين . ومن المحتمل أن الاخشيد كان لا يكره أن تظل دولة الحمدانيين دولة حاجزة بينه وبين البيزنطيين تكفيه مئونة التعرض لهجومهم من وقت الى آخر .

* * *

ولما مات الاخشيد وخلفه ابنه أونوجور وسار كافور بجند مولاه من الشام الى مصر خلت دمشق من حامية قوية ترد عنها الحمدانيين ، وطمع فيها سيف الدولة فاتجه اليها وسقطت فى يده بعد أن استسلم اليه حاكمها الاخشيدى . وقيل ان سيف الدولة كان يسير يوما فى الغوطة بظاهر دمشق ومعه كبير من وجوه القوم فيها ، اسمه الشريف العقيقى ، فقال له سيف الدولة : ماتصلح هذه الغوطة إلا لرجل واحد . فقال له الشريف العقيقى : هى لأقوام كثيرة ، فقال له سيف الدولة : لئن أخذتها القوانين ليتبرؤون منها [1] . فأسرها الشريف فى نفسه وأعلم أهل دمشق بذلك . وألح سيف الدولة فى مطالبة الدمشقيين بودائع الاخشيد فكانوا كافورا يستدعونه [2] . فجاءهم ومعه سيده أونوجور ، وخرج سيف الدولة الى اللجون [3] ، وأقام قريبا من معسكر الاخشيديين . ثم نشب القتال بين الجيشين ، وكان النصر للمصريين فتقهقر سيف الدولة الى دمشق فحمص . وهنا أعاد تنظيم صفوفه وجمع جيشا كبيرا من الأعراب وكر على المصريين شمالى دمشق وكان النصر له فى البداية ولكنه انهزم وتفرقت جيوشه .

(١) فى تاريخ الحكين ص ٢١٥ : « ان أخذتها النواب واستولى عليها الدوادين لتبرز عنها أهلها » .

(٢) ابن سعيد ص ٤٥ — ٤٦ وابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ١٦٤ وكمال الدين ابن العديم : المرجع السابق ص ٣٧١ — ٣٧٢

(٣) الى الجنوب الشرقى من حيفا ، انظر ياقوت : معجم البلدان ج ٧ ص ٣٢٣

وطارده الاخشيديون الى حلب فهرب الى الرقة ، ثم بدأت المفاوضات بين الطرفين وانتهت الى الشروط التى كانت بين الاخشيد وسيف الدولة [١] . ولكن يبدو أن الاخشيديين لم يقبلوا هذه المرة أن يدفعوا جزية سنوية لسيف الدولة عن احتلالهم دمشق [٢] . وعاد اونوجور وكافور الى مصر بعد عقد هذا الصلح وظل السلام قائما بين سيف الدولة والاخشيديين منذ سنة ٣٣٦ هـ .

---

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩١ و ٢٩٢

(٢) كمال الدين ابن العديم : المرجع السابق ص ٣٧٣ و ٣٧٤

obeikandl.com

(٢)

مع البيزنطيين

كان الاخشيد يعنى بما يجرى فى الثغور وعلى الحدود بين أملاك المسلمين وأملاك بيزنطة فى آسيا الصغرى ، وكانت أعماله الخاصة لا تشغله عن ذلك ، وكان البيزنطيون يحترمونه ويخشون بأسه ، فلا عجب إذا راسله الإمبراطور رومانوس وكتب إليه — متخطياً الخليفة — يتودد إليه[١] ويطلب تبادل الأسرى[٢] وتنظيم الفداء . وبادله الإخشيد وداً بود ، فأكرم رسله وحملهم إلى مليكهم هدايا من طرائف مصر ، كما سمح لبعض أتباع الامبراطور ببيع ما قدموا به من البضائع وابتياع ما أرادوه من منتجات مصر[٣] .

وقد عرفنا أن الفداء الذى وقع بين المسلمين والبيزنطيين سنة ٣٣٥ شرع فيه الاخشيد « أمير مصر والشام والثغور الشامية » وكان قد قدم إليه بدمشق فى ذى الحجة سنة ٣٣٤ أبو عمير عدى بن أحمد بن عبد الباقى الأذنى ومعه رسول إمبراطور بيزنطة لتنظيم هذا الفداء . وكان أبو عمير من شيوخ الثغور وقد سبق أن أوفد فى سفارة إلى القسطنطينية ، كما رافق السفراء البيزنطيين الذين قدموا إلى بلاط المقتدر سنة ٣٠٥هـ[٤] . ولكن الاخشيد كان مريضاً وما لبث أن توفى فرجع كافور بالجيش إلى مصر وصحب معه إلى فلسطين أبا عمير ورسول الإمبراطور فدفع إليهما ثلاثين ألف دينار من مال هذا الفداء . وسارا الرسولان إلى مدينة صور ثم ركبا البحر إلى طرسوس وكاتب نصر الثملى أمير الثغور الشامية

---

(١) يشهد بذلك ما جاء فى الرد الذى كتبه النجيرمى على لسان الاخشيد : « وأما ما وصفته من ارتفاع محلك عن مرتبة من هو دون الخليفة فى المكاتبة لما يقتضيه عظم ملكك وأنه الملك القديم الموهوب من الله الباقى على الدهر وأنك انما خصصتنا بالمكاتبة لما تحققته من حالنا عندك . . . . الخ » .

(٢) يبدو من الرد الذى كتبه النجيرمى على لسان الاخشيد أن البيزنطيين كانوا حينذاك يحسنون الى أسرى المسلمين .

(٣) يبدو ذلك أيضا من الرد المشار اليه فى الحاشية السابقة .

(٤) انظر صفحة ٨٤ حاشية (١) من Canard: Sayf al-Daula .

سيف الدولة « ودعا له على منابر الثغور الشامية [١] فجد فى إتمام هذا الفداء فعرف به ونسب إليه » [٢] .

وكان نصر الثملى قد دخل سنة ٣٣٠ هـ من ناحية طرسوس إلى بلاد الروم فقتل وسبى وغنم وعاد سالماً بعد أن أسر عدداً من علية القوم بين البيزنطيين فى هذا الاقليم [٣] .

وقيل ان من الأسباب التى حملت نقفور فوكاس البيزنطى على الرحيل عن حلب سنة ٣٥١ — بعد أن فتحها وعاث فيها فسادا — أن سيف الدولة استنجد بأهل الشام فسار إليه جيش من دمشق على رأسه ظالم بن السلال العقيلى الذى كان يليها من قبل الدولة الاخشيدية [٤] . ولا عجب ان هب الاخشيديون لنجدة سيف الدولة فقد كان نقفور قد دوخ بلاد الاسلام وانتزع من أيدى المسلمين كثيرا من المدن والحصون والمعاقل .

والواقع أن المسلمين فى القرن الرابع لم يهملوا واجب الجهاد . وكان الغزاة منهم يتدفقون من كل أنحاء البلاد الإسلامية إلى إقليم الثغور ، ولا سيما مدينة طرسوس التى كتب عنها ابن حوقل : « عليها سوران من حجارة ، كانت تشتمل على خيل ورجال وعدة وعتاد وكراع . وكان بينها وبين الروم جبال متشعبة من اللكام كالحاجز بين العملين ، ورأيت غير عاقل مميز وسيد حصيف مبرز يشار إليه بالدراية والفهم واليقظة والعلم يذكر أن بها مائة ألف فارس . وكان ذلك عن قريب عهد من الأيام التى أدركتها وشاهدتها . وكان السبب فى ذلك أنه ليس من مدينة عظيمة من حد سجستان وكرمان وفارس وخوزستان والجبال وطبرستان والجزيرة واذربيجان والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب إلا وبها (أى بطرسوس) لأهلها

(١) مما يشهد بأن الثغور الشامية كانت حتى ذلك الوقت تابعة للاخشيد وأنه هو الذى بدأ هذا الفداء وأن أمير الثغور من قبله لم يدخل فى طاعة سيف الدولة إلا بعد وفاة الاخشيد .

(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٦٥

(٣) ابن الاثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ١٢٧

(٤) كمال الدين ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ص ٣٩١ — ٣٩٢

دار ينزلها غزاة تلك البلدة ويرابطون بها إذا وردوها وتكثر لديهم الصلات وترد عليهم الأموال والصدقات العظيمة الجسيمة، إلى ما كان السلاطين يتكلفونه وأرباب النعم يعانونه وينفذونه متطوعين متبرعين، ولم يكن فى ناحية ذكرتها رئيس ولا نفيس إلا وله عليها وقف من ضيعة ذات مزارع وغلات أو مسقف من فنادق »[1].

(١) ابن حوقل : المسالك الممالك ص ١٢٢ — ١٢٣.

obeikandl.com

(٣)

مع النوبيين

من المعروف أن الحملة التى قام بها على بلاد النوبة عبد الله بن سعد والى مصر سنة ٣١ هـ انتهت إلى عقد اتفاق بين مصر وبين ملك النوبة يعرف باسم البقط . وهو بمثابة معاهدة سياسية وتجارية بين مصر ومملكة النوبة المسيحية ، قوامها ألا يعتدى أحدهما على الآخر وأن تؤدى النوبة إلى مصر عدداً معيناً من الرقيق كل سنة وأن تؤدى مصر إلى النوبة قدراً معينا من منتجات مصر[١] .

ولكن هذه المعاهدة كانت تنقض بين حين وآخر ، وكان ملوك النوبة يقدمون على غزو الصعيد الأعلى كلما أحسوا من أنفسهم القوة على هذا الغزو ، وظنوا أن الحكومة المصرية لن تستطيع أن تصدهم إلا بعد فترة يتاح لهم فيها أن يظفروا بما يريدون من السلب والنهب .

ومع ذلك فقد كانت تجارة الرقيق زاهرة بين مصر وبلاد النوبة . وحسبنا أن نذكر عدد الجند السودان فى جيش الطولونيين والاخشيديين .

وقد كتب المسعودى حين زار مصر فى سنة ٣٣٢ أن النوبيين كانوا لا يزالون يقدمون السبي الذى اتفق عليه فى البقط وكان يتسلمه نائب أمير مصر فى أسوان[٢] .

وحدث فى سنة ٣٣٩ أن أغار ملك النوبة على إقليم الواحات بمصر فقتل عدداً من سكانها وسبى وأحرق وخرب[٣] .

كما حدث فى ذى الحجة سنة ٣٤٤ أن أغار ملك النوبة على أسوان وقتل جمعاً من سكانها ونهب قراها ، فخرج إليه جيش من قبل أونوجور وعلى رأسه محمد بن عبد الله

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٨٨ — ١٨٩ ، والكندى : الولاة والقضاة ص ١٢ — ١٣ ، والمقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٠٠ ، وسيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ١٥ — ١٦ ، و J. Spencer Trimingham : Islam in the Sudan, pp. 61-76.

(٢) المسعودى : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٩ — ٤٠

(٣) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ١١٢

الخازن واستطاع هذا الجيش أن يصد النوبيين وأرسل بعض أسراهم إلى مصر فضربت أعناقهم . ثم طارد الجيش المصرى ملك النوبة وفلول جيشه واستطاع أن يفتح مدينة إربم وعاد إلى مصر فى منتصف جمادى الأولى سنة ٣٤٥ ومعه مائة وخمسون أسيراً وعدد من رءوس القتلى[1] .

(١) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ١١٤ ، والمقريزى : الخطط ج ١ ص ٩٩٨ و٣٢٩ و ٣٣٠ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٦

obeikandl.com

(٤)

مع الفاطميين

عرفنا كيف استطاع الاخشيد — بعد أن ولى على مصر — أن يهزم الجند المغاربة الذين كرهوا الخضوع له واتصلوا بالفاطميين فى المغرب . ورأينا أنهم فروا من الاسكندرية إلى الرمادة فى طريقهم إلى برقة . وهناك توفى زعيمهم فى صفر سنة ٣٢٤ . وكانوا قد كتبوا إلى القائم بأمر الله الخليفة الفاطمى يسألونه أن يبعث إليهم بجيش يفتحون به مصر . وقد لبى الخليفة الفاطمى دعوتهم وأنفذ إليهم جيشاً أمره بالمسير معهم إلى الاسكندرية فبلغوها فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٢٤ هـ . وبعث إليهم الاخشيد جيشاً على رأسه أخوه الحسن بن طغج وقائده صالح بن نافع ، والتقى الجيشان فى قرية من قرى البحيرة وحلت الهزيمة بالمغاربة وفرت فلولهم إلى برقة[1] .

ويبدو أن الخليفة الفاطمي أدرك أن الافضل لتحقيق أهدافه وسياسته أن يأخذ الاخشيد باللين وأن يعمل على كسب صداقته ، فكتب إليه كتابا قرأه على خاصته وأرفق به رقعة كتبها بخطه ولم يقرأها على أحد من مستشاريه ، فكأنها رسالة ملكية خاصة . وهذا نصها : « قد خاطبتك أعزك الله فى كتابى المشتمل على هذه الرقعة بما لم يجز لى فى عقد الدين وما جرا به الرسم من سياسة أنصار يستجلبون وضمنت رقعتى ما لم يطلع عليه أحد من كتابى وذوى المكانة عندى . وأرجو أن تردك صحة عزيمتك وحسن رأيك إلى ما أدعوك إليه ، فقد شهد الله على ميلى إليك وايثارى لك ورغبتى فى مشاطرتك ماحوته يمينى واحتوى عليه ملكى ، وليس يتوجه لك العذر فى التخلف عن إجابتى لأنك قد استفرغت مجهودك فى مناصحة قوم لا يرون إحسانك ولا يشكرون إخلاصك يخلفون وعدك ويخفرون ذمتك لم يعتقد منهم أحد حسن المكافأة ولا جميل المجازاة . وليس ينبغى لك أن تعدل عن منهج من نصحك وايثار من آثرك إلى من يجهل موضعك ويضيع

---

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٨٧ — ٢٨٨

حسن سعيك . وأنا أعلم أن طول العادة فى طاعتهم قد كرّه إليك العدول عنهم ، فإن لم تجد من نفسك معونة على اتباع الحق ولزوم الصدق فانى ارضى منك بالمودة والامر والطاعة حتى تقيمنى مقام رئيس من أهلك تسكن إليه فى أمرك وتعول عليه بمثل ذلك . وإذا تدبرت هذا الامر علمت أن الذي يحملنى على التطاطى لك وقبول الميسور منك انما هو الرغبة فيك وأنت حقيق بحسن مجازاتى على ما بذلته والله يريك حسن الاختيار فى جميع أمرك وهو حسبنا ونعم الوكيل »[1] .

ولكن الاخشيد رأى أن يترك لنفسه فرصة التفكير فى الامر فلم يكتب رد هذا الكتاب لتسليمه إلى رسول الخليفة الفاطمى بل « احتج إليه بأنه لا يقرأ ولا يكتب ولا يجوز له أن يبوح بما فى نفسه إلى كاتب ، إذ كان الصواب يقتضى ذلك . ثم قال : وأنا أتدبر الجواب وأجيب عنه ويصل مع من أثق به وأسلك من حسن الموالاة ما لم يكن غيرى يسلكه »[2] .

ولاريب فى أن الاخشيد كان يفهم أن الخليفة الفاطمى يدعوه الى الدخول فى طاعته . وكان الاخشيد يخشى أن يخرج على الخلافة العباسية فقد كان ضعفها يسمح له بأن ينعم بقسط وافر من الاستقلال ، وفضلا عن ذلك فان من المحتمل أنه كان يكره أن يتخلى عن مذهبه السني ويلقى بنفسه فى أحضان الدولة الفاطمية الشيعية . ومع ذلك فاننا لانظن أن هذا الاحتمال الأخير كان له وزن كبير عند الاخشيد . فقد عرفنا أنه لما وجد أن الحكومة المركزية فى بغداد لم تنصره على ابن رائق فكر فى الدعوة للخليفة الفاطمى فى خطبة الجمعة وفى قطع صلته بالخليفة العباسى[3] . ولكن بعض أخصائه نصحوه بالعدول عن ذلك .

---

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٦

(٢) المرجع نفسه ص ٢٦

(٣) المرجع نفسه ص ٢٦ — ٢٧

وقيل ان الاخشيد بعث بكتاب الى الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله يعرض عليه زواج ابنته من ولى عهد الخليفة . وقرأ القائم بأمر الله هذا الكتاب على مستشاريه فأشاروا عليه باجابة هذا الطلب، وبعث الخليفة الى الاخشيد:[1] «وصل كتابك وقد قبلنا ما بذلت . وهى وديعة لنا عندك وقد منحناها من بيت مالنا قبلك مائة الف دينار فتوصل ذلك اليها »[2]. ولكن الاخشيد كان يظن أن القائم سيرسل اليه من الهدايا والاموال ما يفخر به فلما خاب ظنه وقف مشروع المصاهرة .

* * *

ومهما يكن من الامر فقد نظم الاخشيد علاقته بالحكومة المركزية فى بغداد ،وأدرك أن الافضل له البقاء تحت لوائها[3]. واضطر الفاطميون الى مراقبة الحالة فى مصر عن كثب على الرغم من أن مطامعهم فى فتح هذه البلاد كانت تشتد سنة بعد أخرى . فقد كان يجذبهم اليها رخاؤها وثروتها ومركزها الجغرافى فى قلب العالم الاسلامى ، فضلا عن يأسهم من استقرار الأمور فى المغرب ورغبتهم فى التقدم نحو الشرق لعلهم يستطيعون من مصر أن يسيطروا على الشرق الادنى ويسقطوا الخلافة العباسية .

وكانت سياسة كافور أن يبقى على حسن العلاقة بالخلفاء العباسيين من ناحية وبالفاطميين من ناحية أخرى . وقد عرفنا أن أبا المحاسن بن تغرى بردى كتب فى هذا الصدد أن كافورا كان « خبيرا بالسياسة فطنا ذكيا جيد العقل داهية . كان يهادى المعز صاحب المغرب ويظهر ميله اليه ، وكذا يذعن بالطاعة لبنى العباس ويدارى ويخدع هؤلاء وهؤلاء »[4] .

---

(١) ابن سعيد : المغرب ٢٧

(٢) إذا صح ما نفهمه من هذا النص فان القائم كان يفرض ان الاخشيد دخل فى طاعته وان للقائم فى ذمته جزية أو مالا للخزانة الفاطمية وان القائم منح ابنة الاخشيد مائة آلف دينار من هذا المال المستحق للفاطميين .

(٣) ومع ذلك فانه لم يعلن أى عداوة للفاطميين . ومما يستحق الذكر أنه أثناء قتال ابن رائق كان يفكر فى الهرب إلى بلاد الروم أو المغرب إذا حلت به الهزيمة . أنظر ابن سعيد : المغرب ص ٢٨

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦

وكان الفاطميون يسفرون فى بعض الأحيان عن نيتهم العدائية نحو مصر فى عصر كافور . وحدث أن أطلق الخليفة المعز جموعا من عساكره فى المغرب هجمت على الواحات المصرية فأعد كافور جيشاً أجلاهم عنها ويبدو أنه قام بشبه « تعبئة » جزئية فى هذه المناسبة « وصارت الطبول تضرب على بابه خمس مرات فى اليوم والليلة وعدتها مائة طبلة من نحاس »[١] .

ولكن الفاطميين عملوا على نشر الدعوة لأنفسهم فى مصر . بل قدم رسل المعز الفاطمى الى كافور يدعونه الى الدخول فى طاعته فلاطفهم ولم يعط أى رد حاسم . بينما استطاع دعاة الفاطميين أن يأخذوا البيعة للمعز من كثير من وجوه القوم ورؤساء الجند الاخشيديين من الطوائف المختلفة[٢] .

والحق أن الفاطميين كانوا يلمسون أن استيلاءهم على مصر كان قريب الوقوع ولم يعد إلا مسألة وقت فحسب . ولا عجب فقد كان دعاتهم يعملون فى مصر منذ سقوط الدولة الطولونية . وزاد اتصالهم بوجوه مصر منذ قيام الأخشيد . ومن الأمثلة على هذا الاتصال فى العصر الاخشيدى أن الوزير محمد بن على الماذرائى انهم — حين كان معزولا فى قبضة الفضل بن جعفر بالشام — بأنه كاتب الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله وزين له فتح مصر[٣] . ومن ذلك أن أبا الطاهر الذهلى الذى تولى قضاء مصر سنة ٣٤٨ ناظر رسولا قدم إلى مصر من قبل الفاطميين[٤] . ومنه أيضا ما عرفناه من أن أبا جعفر أحمد ابن نصر شيد دارا كبيرة وكانت تؤخذ فيها البيعة لصاحب المغرب[٥] .

بل قيل ان المعز لدين الله الفاطمى قدم إلى مصر فى زمن كافور وان كافورا خرج اليه هو وعبد الله بن طباطبا « فقال عبد الله : ما نسبك ما حسبك ! ! فرجع المعز وهذه هى المرة الأولى »[٦] . والراجح عندنا أن من المحتمل أن يكون المعز قد قدم

---

(١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٧
(٢) المرجع نفسه ج ٢ ص ٢٧
(٣) المرجع نفسه ص ٢٦
(٤) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ٦٣
(٥) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصرى ص ٤٠
(٦) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ١٧٥

إلى « مكان ما » على الحدود المصرية وأن يكون كافور قد خرج للقائه ومعه ابن طباطبا للمفاوضة فى مصير البلاد . ولا ننسى فى هذه المناسبة قطعة النسيج المصرية التى كانت فى مجموعة تانو المؤرخة من سنة ٣٥٥ وعليها عبارة « بسم الملك الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه سنة خمس وخمسين وثلثمائة »[١] . فمن المحتمل أنها من مجموعة صنعت لاهدائها للمعز ، وأنها تشهد بأن كافورا كان حريصا على وده وصداقته وأنه كان « يكسب الوقت » ويرى أن مصر آيلة لامحالة إلى الفاطميين . ومن المحتمل أيضا أن فى تاريخها خطأ كتابيا . ولكننا على كل حال لانميل إلى أن نستنبط منها أن مصر كانت قد دخلت فى طاعة الفاطميين فى ذلك التاريخ .

* * *

ولما مات كافور واستقل جعفر بن الفضل بن الفرات بالوزارة وتدبير المملكة لأحمد بن على بن الاخشيد اضطربت الأمور لأنه قام بشبه انقلاب سياسى ، فقبض على طائفة من كبار الموظفين وذوى الرأى وصادر أملاكهم . وكان من بينهم يعقوب ابن كلس ، ولكن أبا جعفر مسلم بن عبيد الله الشريف الحسينى شفع له عند ابن الفرات فأطلق سراحه وبقى ابن كلس مختفيا عند مسلم الحسينى ثم هرب إلى بلاط المعز فى المغرب[٢] .

وقد أخفق ابن الفرات فى القبض على زمام الأمر ، فقد كانت الحالة المالية فى البلاد سيئة إلى أبعد حد وكانت المجاعة والأوبئة واضطراب الأمن قد أفقدت الحكومة كل هيبة واستقرار ، ولا سيما حين عجزت عن دفع رواتب الجند وعن جمع الضرائب[٣] . وزاد الطين بلة أن « طمع أهل القرى فى الجند »[٤] . ثم هزم القرامطة

---

(١) Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t. 5 p. 11 No. 1622

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٣٧ وج ٢ ص ٤٤٠

(٣) المرجع نفسه ج ١ ص ١٣٨

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٤٤

الحسن بن عبيد الله بن طغج فى الشام وسقطت فى يدهم الرملة وانسحب الحسن بن عبيد الله إلى مصر وقبض على ابن الفرات وأراد أن يتولى تدبير الأمور . ولكنه ما لبث أن أطلق سراحه وفوض اليه الحكم وعاد إلى الشام .

وصفوة القول أن سوء الحالة الاقتصادية والاضطراب السياسى الذى حل بالبلاد والدعوة الفاطمية التى انتشر أمرها كل ذلك حمل كثيرا من أولى الرأى فى البلاد على الكتابة إلى المعز لدين الله يطلبون اليه القدوم إلى مصر لإنقاذها من الفوضى التى دبت اليها منذ اختفت شخصية كافور .

والواقع أن وجود كافور كان السبب الأساسى فى تأخير الغزو الفاطمى . ومن الطريف فى هذا الصدد أن فى بعض المراجع روايات خيالية عن تحنيط جثته بعد وفاته وايهام الناس أنه لا يزال حيا ودوام الحال على هذا المنـــوال الى ان كشفت الحقيقة بعد ثلاث سنين فكتب الناس الى المعز [١] . كما أن دعاة المعز فى مصر كانوا يقولون : « اذا زال الحجر الاسود ملك مولانا المعز لدين الله الأرض كلها ، وبيننا وبينكم الحجر الأسود — يعنون كافورا الاخشيد » [٢] .

* * *

أما الفاطميون فكانوا يستعدون لغزو مصر قبيل وفاة كافور . ففى سنة ٣٥٥ أمر المعز بحفر الآبار فى طريق مصر وفى نهاية جمادى الآخرة من سنة ٣٥٧ هـ وردت الأخبار من مصر الى المغرب بموت كافور [٣] . فبدأ المعز فى إعداد المـال اللازم للحملة التى سيرها لفتح مصر سنة ٣٥٨ [٤] .

---

(١) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المجلد الثانى الجزء الثانى ص ٨٧

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ١٤٦ — ١٤٧ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧٢

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ١٣٨

(٤) المرجع نفسه ص ١٣٩

ومن الوسائل التى استعملها المعز فى حث شيوخ دولته على استنهاض الهمم لهذا الفتح أن اسمعهم قصة قال إنها تشهد بترف المصريين وضعف نفوسهم وذهاب الغيرة منهم ، وقوام هذه القصة أن ابنة الاخشيد خرجت الى السوق لتشترى جارية تتمتع بها [١] .

ومما يذكر بوسائل الدعاية والفتح فى أيامنا هذه أنه لما مات كافور أرسل المعز الى دعاته فى مصر أعلاما أمرهم أن يفرقوها على من يبايع من الجند لينشروها عند وصول جنوده الى مصر [٢] .

ولما قرب الجيش الفاطمى من الاسكندرية كان للوزير جعفر بن الفرات شأن ظاهر فى مشاورة أهل الرأى واستقر رأيهم فى النهاية على مفاوضة جوهر القائد فى شروط التسليم واتفق القوم على تأليف وفد للمفاوضة كان على رأسه الشريف أبو جعفر مسلم الحسينى وابو اسماعيل الرسى والقاضى ابو طاهر الذهلى . والتقى الوفد بالقائد الفاطمى عند تروجة وانتهت المفاوضات بعهد الأمان الذى كتبه واعلنه المصريين وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من جوهر الكاتب ، عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله ، صلوات الله عليه ، لجماعة أهل مصر الساكنين بها ، من أهلها ومن غيرهم ، انه قد ورد من سألتموه الترسل والاجتماع معى ، وهم : أبوجعفر مسلم الشريف — أطال الله بقاه — وأبو اسماعيل الرسى — أيده الله — وأبو الطيب الهاشمى — أيده الله — وأبوجعفر احمد بن نصر — أعزه الله — والقاضى — أعزه الله وذكروا عنكم أنكم التمستم كتابا يشتمل على أمانكم فى أنفسكم وأموالكم و بلادكم وجميع أحوالكم — فعرفتهم ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — وحسن نظره لكم ، فلتحمدوا الله على ما أولاكم ، وتشكروه على ما حماكم ، وتدأبوا فيما يلزمكم ، وتسارعوا الى طاعته العاصمة لكم ، العائدة بالسعادة عليكم وبالسلامة لكم ، وهو أنه — صلوات الله عليه — لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة ، والجيوش المظفرة

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ١٤٣ والمقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٦٦

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ١٤٧

إلا لما فيه اعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم ، إذ قد تخطفتكم الأيدى، واستطال عليكم المستذل وأطمعته نفسه بالاقتدار على بلدكم فى هذه السنة والتغلب عليه وأسر من فيه ، والاحتواء على نعمكم وأموالكم حسب ما فعله فى غيركم من أهل بلدان المشرق ، وتأكد عزمه ، واشتد كلبه ، فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — باخراج العساكر المنصورة ، وبادر بانفاذ الجيوش المظفرة دونكم ، ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق ، الذين عمهم الخزى ، وشملتهم الذلة ، واكتنفتهم المصائب وتتابعت الرزايا واتصل عندهم الخوف ، وكثرت استغاثتهم وعظم ضجيجهم وعلا صراخهم ، فلم يغثهم إلا من أرمضه أمرهم ومضه حالهم ، وأبكى عينه ما نالهم وأسهرها ما حل بهم ، وهو مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، فرجا ، بفضل الله عليه، واحسانه لديه ! وماعوده وأجراه عليه ، استنقاذ من أصبح منهم فى ذل مقيم ، وعذاب أليم ، وأن يؤمن من استولى عليه المهل[1] ويفرخ روع من لم يزل فى خوف ووجل ، وآثر اقامة الحج الذى تعطل وأهمل العباد فروضه وحقوقه للخوف المستولى عليهم ، وإذ لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم ، وإذ قد أوقع بهم مرة بعد أخرى فسفكت دماؤهم ، وابتزت أموالهم ، مع اعتماد ما جرت به عادته من صلاح الطرقات ، وقطع عبث العابثين فيها ، ليتطرق الناس آمنين ، ويسيروا مطمئنين ، ويتحفوا بالأطعمة والأقوات ، إذ كان قد انتهى إليه — صلوات الله عليه — انقطاع طرقاتها ، لخوف مادتها إذ لا زاجر للمعتدين ، ولا دافع للظالمين .

ثم تجويد السكة ، وصرفها إلى العيار الذى عليه السكة الميمونة المنصورية المباركة ، وقطع الغش منها ، إذ كانت هذه الثلاث خصال هى التى لا يتسع لمن ينظر فى أمور المسلمين إلا اصلاحها ، واستفراغ الوسع فيما يلزمه منها .

وما أوعز به مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — إلى عبده من نشر العدل ، وبسط الحق ، وحسم الظلم ، وقطع العدوان ، ونفى الأذى ، ورفع المؤن ، والقيام فى الحق ، وإعانة المظلوم مع الشفقة والاحسان وجميل النظر ، وكرم الصحبة ، ولطف

---

(١) لعلها الوهل بمعنى الفزع .

العشرة ، وافتقاد الاحوال وحياطة أهل البلد فى ليلهم ونهارهم ، وحين تصرفهم فى أوان ابتغاء معاشهم ، حتى لا تجرى أمورهم إلا على ما لَمَّ شعثهم ، وأقام أودهم ، وأصلح بالهم وجمع قلوبهم وألف كلمتهم على طاعة وليه مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — وما أمر به مولانا من إسقاط الرسوم الجائرة التى لا يرتضى — صلوات الله عليه — باثباتها عليكم .

وأن أجريكم فى المواريث على كتاب الله وسنة نبيه — صلى الله عليه — وأضع ما كان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال من غير وصية من المتوفى بها ، فلا استحقاق لمصيرها لبيت المال .

وأن أتقدم فى رم مساجدكم ، وتزيينها بالفرش والايقاد ، وأن أعطى مؤذنيها وقومتها ومن يؤم الناس فيها أرزاقهم ، وأدرها عليهم ، ولا أقطعها عنهم ، ولا أدفعها إلا من بيت المال ، لا باحالة على من يقبض منهم .

وغير ما ذكره مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — مما ضمنه كتابه هذا ما ذكره من ترسل عنكم ، أيدهم الله ، وحباكم أجمعين بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — من أنكم ذكرتم وجوها التمستم ذكرها فى كتاب أمانكم ، فذكرتها إجابة لكم ، وتطمينا لأنفسكم ، وإلا فلم يكن لذكرها معنى ، ولا فى نشرها فائدة ، إذ كان الاسلام سنة واحدة ، وشريعة متبعة ، وهى إقامتكم على مذهبكم ، وأن تتركوا على ما كنتم عليه من أداء المفروض فى العلم ، والاجتماع عليه فى جوامعكم ومساجدكم ، وثباتكم على ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة — رضى الله عنهم — والتابعين بعدهم ، وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم وفتواهم ، وأن يجرى الأذان ، والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام لياليه ، والزكاة ، والحج ، والجهاد على أمر الله فى كتابه ، ونصه نبيه — صلى الله عليه وسلم — فى سنته ، واجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه .

ولكم على أمان الله التام العام ، الدائم المتصل ، الشامل الكامل المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام ، وفى أنفسكم وأموالكم وأهاليكم ونعمكم وضياعكم ورباعكم وقليلكم وكثيركم ، وعلى أن لا يعترض عليكم معترض ، ولا يتجنى عليكم متجن ، ولا يتعقب عليكم متعقب ، وعلى أنكم تصانون وتحفظون وتحرسون ، ويذب عنكم ، ويمنع منكم ، فلا يتعرض الى أذاكم ، ولا يسارع أحد فى الاعتداء عليكم ، ولا فى الاستطالة على قويكم — فضلا عن ضعيفكم — وعلى أن لا أزال مجتهدا فيما يعمكم صلاحه ، ويشملكم نفعه ، ويصل اليكم خيره ، وتتعرفون بركته ، وتغتبطون معه بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه .

ولكم علىّ الوفاء بما التزمته ، وأعطيتكم إياه ، عهد الله ، وغليظ ميثاقه وذمته ، وذمة أنبيائه ، ورسله ، وذمة الأئمة موالينا أمراء المؤمنين — قدس الله أرواحهم — وذمة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين المعز لدين الله — صلوات الله عليه — فتصرحون بها ، وتعلنون بالانصراف اليها ، وتخرجون إلىّ ، وتسلمون علىّ ، وتكونون بين يدىّ ، إلى أن أعبر الجسر ، وأنزل فى المناخ المبارك ، وتحفظون وتحافظون — من بعد — على الطاعة ، وتثابرون عليها ، وتسارعون إلى فرضها ، ولاتخذلون وليا لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — وتلزمون ما أمرتم به ، وفقكم الله وأرشدكم أجمعين » .

وكتب جوهر القائد الأمان بخطه فى شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وصلى الله على محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين الأخيار .

وكتب بخطه فى هذا الكتاب .

« قال جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين — صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين — « كتبت هذا الأمان على ماتقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — وعلى الوفاء بجميعه لمن أجاب من أهل البلد وغيرهم على ماشرطت فيه ، والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ، صلى الله على محمد وعلى آله الطيبين » [1] .

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ١٤٨ — ١٥٣

وهكذا نرى أن هذا الأمان هدف إلى إيهام المصريين أن جيوش الفاطميين قدمت لحمايتهم ، وعرض ، فضلا عن ذلك ، لبرنامج من الاصلاح كاقامة شعائر الحج وإصلاح الطرقات والعمل على استتباب الأمن وتوفير الأقوات وإصلاح العملة وقطع الغش منها ونشر العدل . ونلاحظ أنه قد نص على العدول عما كان متبعا فى العصر الاخشيدى من أخذ جزء لبيت المال من تركات الموتى من غير وصية من المتوفى . كما وعد بترميم المساجد وتأثيثها وأن تدفع للمؤذنين فيها والقومة والأئمة رواتبهم من بيت المال لا بإحالة على من يقبض منهم . كما نص العهد على إقامة أهل مصر على مذهبهم فى العبادة أى أنهم لا يلزمون بالتحول إلى المذهب الشيعى . ونص كذلك على تأمينهم على أنفسهم وأموالهم وضياعهم . وصفوة القول أن هذا الكتاب لم يكن أمانا ومعاهدة فحسب بل كان أشبه شيء بخطاب عرش يرسم الخطوط الرئيسية لسياسة الحكومة الجديدة .

ورجع الوفد بهذا الأمان إلى الوزير ابن الفرات وتبين فى الوقت نفسه أن طائفة كبيرة من الجند غير راضين عن عقد الصلح كما رفضه بعض وجوه القوم[١] . وقال الجند : « ما بيننا وبين جوهر إلا السيف » وأقروا عليهم قائداً من بينهم اسمه نحرير شويزان ، وبقى أحمد بن على بن الاخشيد لا يُفكر فيه .

ووصل جوهر بجيشه إلى الجيزة وأفلحت بعد ذلك فرقة من جيشه فى عبور النيل عند منية شلقان شرقى القناطر الخيرية الآن . ووقع القتال بينها وبين الجند المصريين فقتل منهم عدد كبير ثم استقر رأى المصريين على مطالبة الشريف مسلم الحسينى بالكتابة إلى جوهر فى إعادة الأمان ، ولبى القائد دعوة الشريف فأعاد الأمان . وخرج أبو جعفر مسلم وجعفر بن الفرات وسائر الأشراف والقضاة والعلماء ووجوه التجار والأعيان إلى الجيزة لاستقبال القائد الفاطمى ، ودخل جوهر عاصمة البلاد فى شعبان من سنة ٣٥٨[٢] . وهكذا بدأ حكم الفاطميين فى مصر وانقضى عهد الدولة الاخشيدية . وقامت بعض المقاومة للحكم الجديد ، لاسيما بين البشامرة — على ساحل الدلتا بين فرعى دمياط ورشيد — ولكن الفاطميين أفلحوا فى القضاء عليها[٣] .

(١) المقريزى اتعاظ الحنفا ص ١٥٤

(٢) المرجع نفسه ص ١٥٧ — ١٥٨

(٣) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المجلد ٢ الجزء ٢ ص ٨٨

obeikandl.com

خاتمة

obeikandl.com

خاتمـــة

عرضنا فى الأبواب السابقة لشتى النواحى السياسية والاجتماعية والفنية من تاريخ مصر فى العصر الاخشيدى ، وهو فترة من تاريخها فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وذيل لتاريخها قبل الاخشيديين ومدخل لتاريخها فى العصر الفاطمى ، بل إنه من بعض النواحى وثيق الصلة بتاريخ العالم الإسلامى كله فى الفترة التى زاد فيها ضعف الخلافة العباسية حتى بلغ أشده .

ورأينا أن استقلال مصر عن الخلافة فى العصر الاخشيدى كان استقلالا ملموسا لاشك فيه ، وإن ظلت الروابط الروحية ومقتضيات الأحوال السياسية تربطها بالحكومة المركزية فى بغداد من غير أن تصل بها الى التبعية المطلقة . وكان مثلها فى ذلك مثل الدولة الطولونية ، وإن كان استقلال الطولونيين يبدو لبعض الباحثين أوضح وأظهر أثرا . ولعل بعض السبب فى هذا أن الاخشيديين لم يحاربوا الحكومة المركزية صراحة كما فعل ابن طولون وخمارويه ، وأن الاخشيديين خلفتهم الدولة الفاطمية التى استقلت مصر على يدها استقلالا لا شك فيه فأنست القوم ما كان للاخشيديين من مجد واستقلال .

وقد بدأنا بدراسة تاريخ مصر قبيل قيام الاخشيد لأننا لا نستطيع أن نفهم تاريخ الاخشيديين حق الفهم بغير امعان النظر فى الفترة الواقعة بين سقوط الطولونيين وتولية محمد بن طغج ، فهى الفترة التى بدأت فيها الغزوات الفاطمية على مصر ، ثم ساد الاضطراب وظهر ضعف الحكومة المركزية فى إقرار الأمن وفرض إرادتها على البلاد ، ولا سيما حين ظهر على مسرح السياسة المصرية محمد بن طغج بعد وفاة الوالى تكين .

وتحدثنا عن أسرة الماذرائيين التى نزح كثير من أفرادها الى مصر منذ بداية العصر الطولونى واستطاع بعضهم أن يصلوا الى الاشراف على تدبير الشئون المالية فى مصر ، وأن ينفذوا من تدبير هذه الشئون الى السيطرة على معظم مرافق الحياة فى البلاد . وقد رأينا أن الماذرائيين كان لهم الشأن الأول فى حكم البلاد وتدبير

أمورها فى عصر الاخشيديين وشرحنا المكانة الخطيرة التى كانت لهذه الأسرة فى الادارة المصرية بين عامى ٢٦٦ و ٣٤٥ هـ .

وتبين لنا أن تاريخ العصر الاخشيدى هو تاريخ محمد بن طغج مؤسس الدولة الاخشيدية ثم تاريخ كافور تابعه وتلميذه فى ميدان السياسة . ولم يكن ابن طغج إلاجنديا نابهاً من أولئك الجند الترك الذين حفل بذكرهم تاريخ الدولة العباسية منذ عصر الخليفة المعتصم ، والذين استطاع نفر منهم أن يشق لنفسه الطريق وأن يتحكم فى مصير بعض الأقاليم الإسلامية وأن يظهر إلى أى حد يمكن لحاكم قوى بشخصيته وعبقريته أن يفيد من الجيوش المؤلفة من العناصر المختلفة الجنس وأن يصل إلى السلطان السياسى والحربى فى إمبراطورية اتسعت أرجاؤها حتى أصبح من العسير على الخلفاء الضعفاء أن يحتفظوا بنفوذهم فيها .

وعرفنا أن محمد بن طغج نجح فى الاستيلاء على زمام الأمور بجهوده الشخصية لأن تقليد الخليفة لم يعد يكفى فى ذلك الوقت لتثبيت الوالى . وتحدثنا عن اتساع سلطانه وعن النزاع بينه وبين ابن رائق وعن محاولته جذب الخليفة للإقامة فى مصر لينتقل إليها مركز الخلافة العباسية وليتخلص الخليفة من وصاية أمير الأمراء والجند الترك فى بغداد .

وتبين لنا من المراجع التاريخية والسكة والطراز ، أن العلاقة بين الإخشيد والحكومة المركزية ظلت علاقة طيبة وأن الاخشيد لم يخرج على الخلافة كما خرج ابن طولون على الموفق صاحب الأمر فى حكومة المعتمد العباسى .

وهكذا تقلد الاخشيد أمر مصر والشام والثغور الشامية . أما تقليده الحجاز واليمن فقد انتهينا إلى أنه كان أمراً صوريا ورمزيا ، إذ أن حكم هذه البلاد كان بيد أسرات محلية ربما خضع أمراؤها خضوعا اسمياً للخلفاء العباسيين أو لمن يقلدهم أولئك الخلفاء حكم تلك البلاد .

وقد لاحظنا أن قتل ابن رائق واستقرار الحكم فى الشام للاخشيد ونجاحه فى تدعيم حكمه فى مصر ، كل ذلك يعتبر حداً فاصلا فى علاقته بالخلافة ، فقد أصبح

من القوة بحيث استطاع سنة ٣٣١ هـ (٩٤٢ م) أن يأخذ البيعة من قواده لابنه أونوجور . ثم أتيح له لقاء الخليفة فى الرقة وحصل منه على تقليد بحكم مصر ثلاثين سنة وإذن باستخلاف أونوجور .

وكان من أهم ما عرضنا له فى الكلام على خلفاء الاخشيد موضوع التكييف القانونى للفترة التى استقل فيها كافور بحكم مصر بعد وفاة على بن الاخشيد سنة ٣٥٥ هـ . ورجحنا أن كافوراً لم يسمح بذكر أحمد بن على بن الاخشيد فى الخطبة ، وأنه استقل بمصر ، ولكنه كان يشعر أنه غريب عن أسرة الاخشيد . ولعله كان يشعر بما نكاد نصل إليه من النصوص ، وهو أنه وسط بين الأمير الحاكم والوصى على العرش . فآثر أن يحتفظ بلقب « الأستاذ » حتى لا يصدم أهل الرأى فى البلد باغتصاب لقب الامارة إلى جانب اغتصابه السلطان ، فضلا عن أن مسألة وصول تقليد من الخليفة إليه ليست ثابتة تماماً .

وقد فصلنا الكلام على أمراء البيت الاخشيدى وعلى البلاط وكبار الموظفين فيه ، كما درسنا نظام الادارة فى مصر ممثلا فى الوظائف الرئيسية ، فتحدثنا عن الوزير والكاتب وولاة الأقاليم وصاحب الشرطة والعامل على الخراج وممثل الأمير فى بغداد وصاحب الطراز ومتولى دار الضرب وعن سائر الوظائف . وقد أفدنا فى هذا الميدان فائدة جليلة من المراجع المادية كأوراق البردى والسكة والطراز والكتابات الأثرية .

وتحدثنا عن القضاء والمظالم والحسبة ، وانتهينا إلى ملاحظات هامة بشأن منصب القاضى : أخطرها شأنا أن الرشوة كانت تدفع فى سبيل الوصول إليه أسوة ، بما كان يحدث حينذاك فى منصب القضاء فى مقر الخلافة نفسها ، حتى بطلت القاعدة التى تقول بأن طالب القضاء لا يولى ، وفقد منصب القضاء استقلاله ، وكان لا بد للقاضى من مداراة الأمير وطاعته ليستطيع الاحتفاظ بمنصبه .

وكان للمجتمع المصرى نصيب وافر من دراستنا فى هذا الكتاب ، فقد كتبنا عن طبقات المجتمع من الاشراف وعلية القوم وأهل الذمة وسواد الشعب والرقيق

وعن رجال الجيش والبحرية ، وعن الأعياد والحفلات ، وعن الأخلاق والعادات ، ومستوى المعيشة ، والسجون ، وعن مجالس الغناء والطرب والملابس والحمامات والزواج والرياضة . كما كتبنا عن استخراج الكنوز من الآثار المصرية القديمة ، وعن الزراعة والصناعة والتجارة والملاحة . واستطعنا أن نصل إلى بحوث جديدة وطريفة فى هذا الميدان الذى لا يزال يحتاج إلى عناية المؤرخين وجهودهم فى البحث . ولا شك أن الفضل فيما أصبنا من التوفيق يرجع إلى المراجع المادية ، ولا سيما أوراق البردى ، وإلى قراءة كثير من كتب الأدب وتقويم البلدان والرحلات ، فضلا عن الانتباه إلى كل دقيقة وصغيرة فى النصوص التاريخية التى وصلت إلينا .

ورأينا أن مصر فى عصر الاخشيديين كان لها نصيب وافر فى الحياة العقلية والفنية التى ازدهرت فى ديار الإسلام حينذاك . وإن يكن من العسير أن ننسب اليها طابعا خاصا فى هذا الميدان . ولا غرابة فى هذا اذا تذكرنا أن القومية فى العالم الإسلامى لم تكن قد وضحت معالمها فى العصور الوسطى .

وكان أهم ما وقفنا عنده فى الكلام على السياسة الداخلية فى العصر الاخشيدى السياسة المالية . واعتمدنا فى هذا الصدد على الوثائق البردية وعلى ما جاء فى المراجع التاريخية ، وقد رأينا أن الاخشيد أقبل على مصادرة ما كان يجمعه كبار الموظفين والأغنياء من الأموال ، ولعله كان يبرر ذلك بالرغبة فى سد نفقات الدولة والانفاق على الجيش ، ومعاقبة الموظفين الذين يرتشون أو يسيئون استعمال ما لوظائفهم من النفوذ والجاه .

وفى اعتقادنا أن الاخشيد وكافورا استطاعا القضاء على الفوضى واضطراب الأمن وما الى ذلك من القلاقل التى سادت فى مصر بعد سقوط الطولونيين ، كما أتيح لمصر أن تنعم على يدهما بقسط من الاستقرار والهدوء لم تنله أقاليم أخرى من ديار الإسلام فى القرن الرابع .

أما الشعب المصرى خلال هذا العصر فكان شعبا هادئا خاضعا ، يغلب على أفراده طابع الانصراف الى شئونهم الخاصة والعيش على هامش الحياة السياسية فى البلاد .

ولاعجب فإننا لا نكاد نجد بمصر فى ذلك العصر شعورا قوميا أو وطنيا ، إذ كان الشعب قد اعتاد أن يراقب عن كثب حكاما من خارج البلاد يفدون عليها بين حين وآخر ، ويجمعون للدفاع عنها جيوشا لم يكن للعنصر المصرى فيها الغلبة أو الشأن الأول . ولم يكن المصريون فى ذلك العصر يستطيعون أن يجمعوا أمرهم على شىء يفرضونه على حكومة البلاد ، ولم يكن أمام الحكومة رأى عام تحسب له أى حساب . وطبيعى أن قيام الدولة الطولونية والدولة الاخشيدية فى القرن الرابع لم يكن له صلة بشعور قومى أو وطنى ، كما كان لقيام الدويلات التى نزعت الى الاستقلال بإيران فى القرنين الثالث والرابع الهجرى .

obeikandl.com

المراجع العربية

الأبشيهى (محمد بن أحمد أبو الفتح) ، توفى ٨٥٠ هـ — ١٤٤٦ م : « المستطرف فى كل فن مستظرف » ، القاهرة ١٣٥٢ هـ .

ابن الأثير (على بن أحمد بن أبى الكرم) ، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م : « الكامل فى التاريخ » ، ١٢ جزءاً ، بولاق ١٢٩٠ هـ .

أحمد أمين بك (الدكتور) : « ظهر الاسلام » الجزء الأول ، القاهرة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م .

أحمد تيمور باشا : « التصوير عند العرب » أخرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات الدكتور زكى محمد حسن ، القاهرة ١٩٤٢ م .

أحمد عيسى بك : تاريخ البيمارستانات فى الاسلام ، القاهرة ١٩٣٩ م .

الادريسى (محمد بن محمد بن عبد الله الشريف) ، ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ — ١١٦٥ م « صفة المغرب وأراضى السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ليدن ١٨٦٤ — ١٨٦٦

الأدفوى (كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر بن على) ، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م : « الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد » مصر ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م .

ابن آدم القرشى (يحيى) ، ت فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى : « كتاب الخراج » ليدن ١٨٩٥ — ١٨٩٦ م .

الأصطخرى (ابراهيم بن محمد) ، ت فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى : « كتاب مسالك الممالك » ليدن ١٩٢٧ م .

ابن أبى أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم) ، ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م : « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » جزءان ، القاهرة ١٢٩٩ — ١٣٠٠ هـ .

ابن اياس (أبو البركات محمد بن أحمد) ، ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م :

١ — « كتاب تاريخ مصر » المعروف باسم « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » ٣ أجزاء ، بولاق ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م .

٢ — « نشق الأزهار فى عجائب الأمصار » طبع قسما من الكتاب الاستاذ Langlès باريس ١٨٠٧ م .

البكرى (أبو عبيد عبد الله بن عبدالعزيز البكرى) ، ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م : « المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب » طبع دى سلان ، الجزائر ١٨٥٧ م .

البلوى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمير بن محفوظ المدينى) ، ت بعد نيف وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة / القرن العاشر الميلادى : « سيرة أحمد بن طولون » حققها وعلق عليها محمد كرد على ، دمشق ١٣٥٨ هـ .

التنوخي (أبو علي المحسن بن أبي القاسم) ، ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م :
١ — « الفرج بعد الشدة » مصر ١٣٥٧ هـ .
٢ — « جامع التواريخ المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » ، الجزء الأول ، طبع مصر سنة ١٩٢١ م . والجزء الثامن ، دمشق سنة ١٩٣٠ م .

الثعالبي (أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري) ، ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م :
١ — « يتيمة الدهر » ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٤ هـ .
٢ — « لطائف المعارف » ، طبع دي يونج ، ليدن ١٨٦٧ م .

جرومان (آدولف) : « أربع محاضرات عن الأوراق البردية العربية » تعريب الأستاذ توفيق اسكاروس ، القاهرة ١٩٣٠ م .

الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس الكوفي) ، ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م : « كتاب الوزراء والكتاب » حققه ووضع فهارسه الأساتذة مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي . الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٣٨ م .

جورجي زيدان : « تاريخ آداب اللغة العربية » ٤ أجزاء ، الطبعة الثانية سنة ١٩٢٤ م .

ابن الجيعان (شرف الدين يحيى) ، ت ٨٨٥ هـ / ١٤٥١ م : « التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية » القاهرة ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م .

ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين بن علي) ، ت ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م : « رفع الاصر عن قضاة مصر » مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢١١٥

حسن ابراهيم حسن (الدكتور) :
١ — « الفاطميون في مصر » القاهرة ١٩٣٢ م .
٢ — « كافور الاخشيدي » : مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول المجلد السادس . القاهرة مايو ١٩٤٢
٣ — « تاريخ الاسلام السياسي » : الجزء الثالث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٤٩ م .

حسن ابراهيم حسن (الدكتور) والدكتور علي ابراهيم حسن : « النظم الأسلامية » القاهرة ١٩٣٩ م .

الحصري القيرواني (أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري) ، ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م : « زهر الاداب وثمر الالباب » طبعة الدكتور زكي مبارك ، القاهرة ١٩٢٥

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي) ، ت أواخر القرن ٤ هـ / أواخر القرن ١٠ م : « المسالك والممالك » ليدن ١٨٧٣ م .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد المغربي) ، ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ — ١٤٠٦ م :
١ — « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ٧ أجزاء ، القاهرة ١٢٨٤ هـ .
٢ — « المقدمة » القاهرة ١٢٤٨ هـ / ١٩٣٠ م .

ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم) ، ت ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م : « وفيات الأعيان » جزءان ، القاهرة ١٢٩٩ هـ .

خليل الظاهرى (غرس الدين بن شاهين) ، ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م : « زبدة كشف الممالك فى بيان الطرق والمسالك » طبعة Paul Ravaisse بباريس ١٨٩٤ م .

ابن الداية (أبو جعفر أحمد بن يوسف) ، ت ٣٣٠ هـ أو ٣٤٠ هـ / ٩٤١ م أو ٩٥١ م :
١ — « سيرة أحمد بن طولون » نشرها فولرز فى فيمار سنة ١٨٩٥
٢ — « المكافأة » القاهرة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م .

ابن دقماق (ابراهيم بن محمد المصرى) ، ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ — ١٤٠٧ م : « الانتصار لواسطة عقد الأمصار » الجزء الرابع والخامس ، بولاق ١٣٠٩ نشرة المستشرق فولرز Vollers .

الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد) ، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ — ١٣٤٨ م مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ ، المجلد ١٦ حوادث من سنة ٣٠١ هـ إلى سنة ٥٠٠ هـ .

زكى مبارك (الدكتور) : « النثر الفنى فى القرن الرابع » جزءان ، القاهرة ١٩٣٤

زكى محمد حسن (الدكتور) :
١ — الفن الاسلامى فى مصر ج ١ ، القاهرة ١٩٣٥ م .
٢ — كنوز الفاطميين ، القاهرة ١٩٣٧ م .
٣ — مصر والحضارة الاسلامية ، القاهرة ١٩٤٢ م .
٤ — الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٤٥ م .
٥ — فنون الاسلام ، القاهرة ١٩٤٨ م .
٦ — دراسات فى مناهج البحث فى التاريخ الاسلامى ، مجلة كلية الآداب ، المجلد ١٢ ج ١ مايو ١٩٥٠

ابن زولاق (أبو محمد الحسن بن ابراهيم) ، ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م : « أخبار سيبويه المصرى » . نشره الأساتذة محمد ابراهيم سعد وحسين الديب ، الطبعة الأولى ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م .

ابن الزيات (شمس الدين أبو عبد الله) ، ٨١٤ هـ / ١٤١١ م : « الكواكب السيارة » ، المطبعة الأميرية بمصر (١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م) .

ساويرس (أسقف الاشمونين) . انظر ابن المقفع .

السبكى (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب) ، ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م : « طبقات الشافعية الكبرى » ٦ أجزاء ، المطبعة الحسينية ١٣٢٤ هـ .

ابن سعيد (على بن موسى المغربى) ، ت ٦٧٣ هـ / ١٢٧٥ م : « السفر الرابع من كتاب المغرب فى حلى المغرب » ليدن ١٨٩٩ م .

سعيد بن بطريق (أفتيشيوس) ، ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م : « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » جزءان ، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين فى بيروت ١٩٠٥ م .

السمعانى (أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى السمعانى المروزى) ، ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م : « أنساب العرب » ليدن ١٩١٢ م .

السيوطى (جلال الدين) . ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م :
١ — « تاريخ الخلفاء » القاهرة ١٣٠٥ م .
٢ — « بغية الوعاه فى طبقات اللغويين والنحاه » القاهرة ، مطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ .
٣ — « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » جزءان ، القاهرة ١٣٢١ هـ .

سيدة اسماعيل كاشف (الدكتورة) : « مصر فى فجر الاسلام » القاهرة ١٩٤٧ م .

ابن شاكر الكتبي (محمد بن احمد) ، ت ٧٦٤ هـ/١٣٦٢ م : « فوات الوفيات » جزءان ، القاهرة ١٢٩٩ هـ .

ابن الشحنة (أبو الفضل محمد) ، ت ٨٩٠ / ١٤٨٥ م : « الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب » بيروت ١٩٠٩ م .

الشيزرى (عبد الرحمن بن نصر) ، ت حوالى ٥٨٩ هـ/١١٩٣ م : « كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة » قام على نشره السيد الباز العريني ، القاهرة ١٩٤٦ م .

أبو صالح الأرمنى (أبو المكارم جرجس بن مسعود) ، ت أوائل القرن السابع الهجرى / أوائل الثالث عشر الميلادى : « تاريخ » المعروف بكنائس وأديرة مصر . طبعة Evetts اكسفورد ١٨٩٥ م .

الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ، ت ٧٦٤ هـ/١٣٦٢ م : « الوافى بالوفيات » الجزء الأول ، الآستانة ١٩٣١ م .

الصولى الشطرنجى (أبو بكر محمد بن يحيى) ، ت ٣٣٥ أو ٣٣٦ هـ/٩٤٦ أو ٩٤٧ م : « أخبار الراضى بالله والمتقى لله من كتاب الأوراق » نشره هيورث دن Heyworth Dunne . القاهرة ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م .

ابن الصيرفى (أمين الدين أبو القاسم على بن منجب) ، ت ٥٤٢ هـ/١١٤٧ م أو بعد سنة ٥٥٠ هـ/١١٥٥ م : « الاشارة إلى من نال الوزارة » طبع مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية سنة ١٩٢٤ م .

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ، ت ٣١٠ هـ/٩٢٢ م : « تاريخ الأمم والملوك » ١١ جزءا ، الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية بمصر .

ابن الطقطقى (محمد بن على بن طباطبا) ، أتم كتابه فى سنة ٧٠١ هـ/١٣٠١ م : « الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية » المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٥ هـ/١٩٢٧ م

طه حسين بك (الدكتور) : « مع المتنبى » جزءان ، القاهرة ١٩٣٦ م .

ابن ظافر الأزدى المصرى (جمال الدين على) ، ت ٦٢٣ هـ/١٢٢٥ م : « كتاب الدول المنقطعة » صورة شمسية محفوظة فى دار الكتب المصرية لجزء من مخطوطة المتحف البريطانى (دار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ) ونقل وستنفلد جزءا من مخطوطة غوطا (رقم ٢٤٥) وطبعه فى كتاب Die Statthalter von Ägypten Zur Zeit der Chalifen .

ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله) ، ت ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ — ٨٧١ م : « فتوح مصر وأخبارها » طبعة تورى Torrey نيوهافن ١٩٢٢ م .

عبد اللطيف البغدادى (الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف المعروف بابن اللباد) ، ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م : « عبد اللطيف البغدادى فى مصر » وهو الكتاب المعروف باسم « الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » طبعة المجلة الجديدة (سلامه موسى) .

ابن العبرى (أبو الفرج بن هرون الملطى) ، ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م : « تاريخ مختصر الدول » مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت ١٨٩٠ م .

ابن العديم الحلبي (كمال الدين أبو حفص أو أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله والمعروف بابن أبى جرادة) ، ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ — ١٢٦٢ م : « زبدة الحلب فى تاريخ حلب » نشر جزء منه الاستاذ Canard فى الفصل الخامس من كتابه Sayf al-Dawla .

ابن عذارى المراكشى (أبو عبد الله محمد) ، ت فى أواخر القرن السابع الهجرى / أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر الميلادى : « البيان المغرب فى أخبار المغرب » طبعة الاستاذ Dozy ليدن ، الجزء الاول ١٨٤٨ والجزء الثانى ١٨٤٩ — ١٨٥١ م .

عريب بن سعد القرطبى . ت ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م : «صلة تاريخ الطبرى» الجزء الثانى عشر من كتاب تاريخ الأمم والملوك « للطبرى » الطبعة الأولى بمطبعة الحسينية بمصر .

ابن عساكر (أبو القاسم على بن أبى محمد الحسن بن هبة الله بن عساكر الشافعى الدمشقى الملقب ثقة الدين) ، ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م : « التاريخ الكبير » ٥ أجزاء ، دمشق ١٣٢٩ — ١٣٣٢ هـ .

على ابراهيم حسن (الدكتور) : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٤٤ م .

على بك بهجت والبير جبريل : حفريات الفسطاط ، القاهرة ١٩٢٨ م .

على مبارك باشا : « الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة » ٢٠ جزء ا بولاق ١٣٠٦ هـ .

ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى بن احمد بن محمد الصالحى) ، ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م : « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » ٨ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٠ — ١٣٥١ هـ .

الأمير عمر طوسون : « مالية مصر من عهد الفراعنة الى الآن » الاسكندرية سنة ١٩٣١ م .

العمرى (شهاب الدين أحمد بن فضل الله) ، ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م : «التعريف بالمصطلح الشريف» القاهرة ١٣١٢ هـ .

ابن العميد (الشيخ المكين جرجس بن العميد بن الياس) ، ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٢ م : « تاريخ المسلمين » ليدن ١٦٢٥ م .

العينى (بدر الدين محمود) ، ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م : « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » الجزء الثالث عشر من سنة ٢٧٩ هـ إلى آخر سنة ٣٣٠ هـ ، والجزء الرابع عشر من سنة ٣٣١ هـ إلى آخر سنة ٤٣٠ هـ (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٧٥٨٤ تاريخ) .

الغزولى (علاء الدين على بن عبد الله البهائى الغزولى الدمشقى) ، ت ٨١٥ هـ/ ١٤١٢ م :
« مطالع البدور فى منازل السرور » جزءان ، الطبعة الأولى ، مصر ١٢٩٩ — ١٣٠٠ م .

أبو الفدا (الملك المؤيد اسماعيل صاحب حماة) ، ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١ — ١٣٣٢ م : « المختصر فى أخبار البشر » ٤ أجزاء القسطنطينية ١٢٨٦ هـ .

أبو فراس الحمدانى (الحارث بن سعيد بن حمدان) ، ت ٣٥٧ هـ/ ٩٦٨ م : « ديوان أبى فراس الحمدانى » عنى بجمعه ونشره وتعليق حواشيه ووضع فهارسه الدكتور سامى الدهان . بيروت ١٣٦٣ هـ — ١٩٤٤ م .

ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى) ، ت أواخر القرن الثالث الهجرى / أوائل العاشر الميلادى : « مختصر كتاب البلدان » ليدن ١٨٨٥ م .

قدامة بن جعفر ، ت ٣١٠ هـ أو ٣٢٠ هـ أو ٣٢٧ هـ/ ٩٢٢ م أو ٩٣٢ م أو ٩٤٩ م : « نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة » الجزء السادس من المكتبة الجغرافية ١٨٨٩ م .

القلقشندى (شهاب الدين أبو العباس احمد بن على) ، ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م : « صبح الأعشى فى صناعة الانشا » ١٤ جزءا ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩١٣ — ١٩١٩ م .

الكاسانى أو الكاشانى (علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الملقب بملك العلماء) ، ت ٥٨٧ هـ/ ١١٩١ م : « بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع » ٧ أجزاء ، الجزء الاول والثانى مطبعة شركة المطبوعات العلمية ١٣٢٧ هـ والجزء الثالث الى السابع مطبعة الجمالية ١٣٢٨ هـ .

ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى) ، ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢ م :
« البداية والنهاية » ١٤ جزءاً ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢ م .

الكرملى (الأب أنستاس) : « النقود العربية وعلم النميات » القاهرة ١٩٣٩ م .

كشاجم (أبو الفتح محمود بن الحسين بن شاهق أو شاهك) ، ت ٣٥٠ أو ٣٦٠ هـ/ ٩٦١ أو ٩٧٠ م :
« ديوان كشاجم » بيروت ١٣١٣ هـ .

الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف) ، ت ٣٥٠ هـ/ ٩٦١ م : « كتاب الولاة وكتاب القضاة » ليدن وبيروت ١٩٠٨ — ١٩١٢ م .

الأب لويس شيخو اليسوعى : « هلال الصابى وتآليفه » ، (مجلة الشرق ، السنة السادسة . بيروت سنة ١٩٠٣ م) .

الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب) ، ت ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨ م :
١ — « الاحكام السلطانية » القاهرة ١٣٢٨ هـ .
٢ — « أدب الوزير » المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك ، القاهرة ١٣٤٨ هـ/ ١٩٢٩ م

المتنبى (ابو الطيب) ، ت ٣٥٤ هـ/ ٩٦٥ م :
١ — « ديوان » بيروت ١٩٠٠ م .
٢ — القصائد المصريات الكافوريات ، فى ديوانه طبعة ديتريش فى برلين سنة ١٨٦١

أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى) ، ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩ — ١٤٧٠ م : « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ١٠ أجزاء ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٩ م — ١٩٤٩ م .

محمد جمال الدين سرور (الدكتور) : « الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره » القاهرة ١٩٣٨

محمد كامل حسين (الدكتور) : « فى الأدب المصرى الاسلامى من الفتح الاسلامى الى دخول الفاطميين » القاهرة ١٩٣٩ م .

محمد كامل مرسى باشا (الدكتور) : « الملكية العقارية فى مصر وتطورها التاريخى من عهد الفراعنة حتى الآن » ، القاهرة ١٩٣٦ م .

محمد كرد على : « خطط الشام » ٦ أجزاء ، دمشق ١٩٢٥ — ١٩٢٨

محمد مصطفى زيادة (الدكتور) : « بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك بمصر » مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول المجلد الرابع ، الجزء الأول ، القاهرة سنة ١٩٣٨

المراكشى (أبو محمد عبد الواحد بن على ، محيي الدين) ، ت ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ — ١٢٧١ م : « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » طبعة دوزى . ليدن ١٨٨١

مسكويه (أبو على احمد بن محمد بن يعقوب) ، ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م : « تجارب الأمم وتعاقب الهمم » الجزء الأول ، ليدن ١٩٠٩ م ، والجزء الخامس والسادس مطبعة شركة التمدن بمصر ، ١٣٣٢ و ١٣٣٣ هـ — ١٩١٤ و ١٩١٥ م .

المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على) ، ت ٣٤٥ أو ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ أو ٩٥٧ م :

١ — « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ٩ أجزاء ، باريس ١٨٦١ — ١٨٧٧ م .

٢ — « كتاب التنبيه والاشراف » القاهرة ١٩٣٨ م .

المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله) ، من علماء النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، أو النصف الأخير من القرن العاشر الميلادى : « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » ليدن ١٨٨٧ م .

المقريزى (تقى الدين) ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ — ١٤٤٢ م :

١ — « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » جزءان ، بولاق ١٢٧٠ هـ نشر الأستاذ جاستون ڤييت جانبا من الجزء الأول (طبعة بولاق) فى أربعة مجلدات فى المعهد الفرنسى للآثار الشرقية فى القاهرة ، (القاهرة ١٩١١ — ١٩٢٤ م) .

٢ — « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » نشره الدكتور جمال الدين الشيال . القاهرة ١٩٤٨ م .

٣ — « التاريخ الكبير المقفى (نقل جزءا منه جوتشلك فى رسالته عن المقريزيين ، برلين — ليبزج ١٩٣١ م) .

٤ — « كتاب النقود القديمة الاسلامية (نشره الأب أنستاس مارى الكرملى فى كتابه النقود العربية وعلم النميات) .

٥ — « اغاثة الامة بكشف الغمة » نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور جمال الدين الشيال . القاهرة ١٩٤٠ م .

ابن المقفع (ساويرس أسقف الاشمونين) ، ت أواخر القرن ٤ هـ/ أواخر القرن ١٠ م :
« سير الآباء البطاركة » الجزء الاول والخامس والعاشر من مجموعة Patrologia Orientalis ، باريس ١٩٠٧و١٩١٠و١٩١٥، والمجلد الثانى (مطبوعات جمعية الآثار القبطية ، القاهرة ١٩٤٨ م

المكين : انظر ابن العميد .

ابن مماتى (أبو المكارم أسعد بن مهذب بن مينا) ، ت ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ م : « كتاب قوانين الدواوين» نشره وعلق عليه الدكتور عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣ م .

ابن ميسر (محمد بن على بن يوسف بن جلب) ، ت ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨ م : « أخبار مصر » الجزء الثانى فقط ، طبع فى المعهد العلمى الفرنسى وصححه الاستاذ هنرى ماسيه . القاهرة ١٩١٩ م .

ابن النديم (محمد بن اسحاق) ، ت نحو ٣٨٥ هـ/ نحو ٩٩٥م : « الفهرست » ليبزج ١٨٧١

النواجى (شمس الدين محمد بن الحسن) ، ت٨٥٩ هـ/ ١٤٥٥ م : « حلبة الكميت » القاهرة١٢٩٩ هـ .

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ، ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣٢ م : « نهاية الأرب فى فنون الأدب » المطبوع منه ١٥ جزءاً ، الطبعة الأولى بدار الكتب المصرية .

هلال الصابى (أبو الحسن أو أبو الحسين هلال بن المحسن بن أبى إسحق إبراهيم) ، ت ٤٤٨ هـ/١٠٥٦م: « تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء » نشرة Amedroz بيروت ليدن ١٩٠٤ م .

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى) ، ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م :

١ — « معجم الأدباء » أو « ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب » أو « ارشاد الألباء إلى معرفة الادباء » ٢٠ جزءاً ، القاهرة ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م .

٢ — « معجم البلدان » ٨ أجزاء . القاهرة ١٣٢٣ هـ — ١٩٠٦ م .

يحيى بن سعيد الانطاكى ، ت ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٦ م : « تاريخ » أو صلة كتاب سعيد بن بطريق المسمى « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» بيروت . مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٥ م .

اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) ، ت ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م : « كتاب البلدان » (الجزء السابع من مجموعة المكتبة الجغرافية) ليدن ١٧٩٢ م .

أبو يوسف (يعقوب صاحب أبى حنيفة) ، ت ١٨٢ هـ/ ٧٩٨ م : « كتاب الخراج » بولاق ١٣٠٢ م .

المراجع الأفرنجية

ALI BEY BAHGAT . . . . . Les Manufactures d'Etoffe en Egypte au Moyen Age. (Bulletin de l'Institut Egyptien. Quatrième Série, Avril 1903, Le Caire 1903).

ALI MOHAMED FAHMY . . . . Muslim Sea-Power in the East Mediterranean from the Seventh to the Tenth Century A.D. (Alexandria 1950).

AMEDROZ (H.F.) . . . . . The Office of Kadi (Journal of the Royal Asiatic Society, 1910, p. 779 & seq.).

ARBERRY (A. J.) . . . . . An Introduction to the History of Sufism. London 1943.

ARNOLD (Th.) . . . . . The Caliphate. Oxford 1924.

ARNOLD (Th.) and GROHMANN (A.) The Islamic Book. London 1929.

BAYNES (Norman H.) and MOSS . Byzantium. Oxford 1949.

BECKER (C. H.) . . . . . Islamstudien, Vom Werden und Wesen der islamischen Welt, 1 Band (Leipzig 1924).

— . . . . . Beiträge Zur Geschichte Ägyptens unter dem Islam (Strassburg 1902-1903).

— . . . . . Art. Egypt (The Encyclopædia of Islam) vol. II. Leyden-London 1927.

BERCHEM (Max Van) . . . . . Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum : première partie, Egypte, Paris 1903.

BERG (Van den) . . . . . Principes du Droit Musulman. Alger 1896.

BOWEN (H.) . . . . . The Life and Times of Ali ibn Isa, "the Good Vizier". Cambridge 1928.

BROCKELMANN (Carl) . . . . . Geschichte der Arabischer Litteratur, 2 vols. Weimar, Berlin 1898-1902, & Supplementband, Leiden 1937-1938.

obeikandl.com

BROCKELMANN (C.) . . . . . History of the Islamic Peoples. London 1949.

نقله الى العربية بعنوان « تاريخ الشعوب الاسلامية » الدكتور نبيه أمين فارس والاستاذ منير البعلبكى . بيروت . دار العلم للملايين ١٩٤٨ — ١٩٤٩ م

BROWNE (E. G.) . . . . . A Volume of Oriental Studies presented to Edward Browne on his 60th Birthday. Ed. by T.W. Arnold and R.A. Nicholson. Cambridge 1922.

CANARD (Marius) . . . . . Sayf al Daula. Alger 1934.

CARRA DE VAUX . . . . . Les Penseurs de l'Islam. Paris 1921-1926.

CODRINGTON (O.) . . . . . A Manual of Musulman Numismatics (London 1904).

COMBE (Et.), SAUVAGET (J.) et WIET (G.). Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe. Tome Cinquième, Le Caire 1934.

Comité de Conservation des Monuments de l'Art Arabe, Exercice 1904.

CRESWELL (K. A. C.) . . . . . Early Muslim Architecture (Umayyads, Abbassids and Tulunids). 2 vols. Oxford 1932-1940.

DEFRÉMERY . . . . . Mémoire sur les Emirs-el-Oumara (dans Mémoires présentés par divers savants à l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres. 1re série. 1. 11. Paris 1852).

DE SACY (Silvestre) . . . . . Bibliothèque des Arabisants Français. Tome premier, Le Caire 1905.

DOZY (R.) . . . . . Supplément aux Dictionnaires Arabes. 2 vols. Leyden 1881.

— . . . . . Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes. Amsterdam 1845.

DRIOTON (Etienne) et VANDIER (Jacques) L'Egypte (dans Les Peuples de l'Orient Méditerranéen, t.11). Paris 1938.

obeikandl.com

FARIS (N. A.) . . . . . The Arab Heritage. Princeton 1944.

FRANZ (J.) . . . . . Kairo 1903.

FLURY (S.) . . . . . Ein Stuckmihrab des IV. (X) Jahrhunderts. (Jahrbuch der Asiatischen Kunst, II, 1925).

GAUDEFROY-DEMOMBYNES (M.) . Le Monde Musulman (Histoire du Monde, VII, 1). Paris 1931.

GOTTSCHALK, (HANS) . . . . Die Madaraijjun. (Berlin und Leipzig 1931).

GROHMANN (Adolf) . . . . . Arabic Papyri in the Egyptian Library vols. I, II, III. Cairo 1934, 1936, 1938.

الجزء الأول نقله الأستاذ ادولف جرومان إلى العربية بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن بعنوان « أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية » القاهرة ١٩٣٤ م .

GROHMANN (A.) . . . . . Art. Tiraz (in Encyclopædia of Islam).

GRUNEBAUM (G. E. Von) . . . Medieval Islam. Chicago, Illinois, 1947.

HASSAN IBRAHIM HASSAN . . Relations between Egypt and the Caliphate. Cairo 1940.

HEFFENING (W.) . . . . . Art. Shāhid (Encyclopædia of Islam).

HERZ BEY (MAX) . . . . . Catalogue Raisonné des monuments exposés dans le Musée National de l'Art Arabe. Le Caire 1906.

ترجمه على بك بهجت بعنوان : فورس مقتنيات دار الآثار العربية ، المطبعة الأميرية بمصر ١٣٢٧ هـ .

HEYD . . . . . Histoire du commerce du Levant au Moyen Age 2 vols. Leipzig 1885-1886.

HITTI (Ph.) . . . . . History of the Arabs. London 1946.

HUART (Cl.) . . . . . Histoire des Arabes, 2 vols. Paris 1912.

IBN SAID-VOLLERS . . . . . Fragments aus dem Mughrib. Weimar 1895.

ظهرت له ترجمتان باللغة العربية .

KREMER (A.V.) . . . . . Kulturgeschichte des Orients unter den Chalifen. 2 Bände (Wien 1875-77).

KÜHNEL (E) . . . . . Islamische Schriftkunst. Berlin.

LANE-POOLE (Stanley) . . . . . Catalogue of Oriental Coins in the British Museum. London 1875-1890.

— . . . . . History of Egypt in the Middle Ages. London 1900.

— . . . . . The Mohammadan Dynasties. London 1925.

LEVY (R.) . . . . . An Introduction to the Sociology of Islam, 2 vols. London 1931-1933.

LAVOIX (Henri) . . . . . Catalogue des Monnaies Musulmanes. Paris 1896.

LÉVI-PROVENÇAL (E.) . . . . . Le Traité d'Ibn Abdun. (Journal Asiatique. Avril-Juin 1934).

MACDONALD (D. B.) . . . . . : Muslim Theory, Jurisprudence and Constitutional Theory. London 1903.

MARCEL . . . . . : Egypte, depuis la conquête des Arabes jusqu'à la domination Française. Paris 1848.

MASSIGNON (L.) . . . . . : Article Karmates (Encyclopædia of Islam).

— . . . . . : Annuaire du Monde Musulman. Paris 1925.

MAYER (L. A) . . . . . : Bibliography of Moslem Numismatics, India Excepted. London 1939.

MERCIER (Louis) . . . . . : La Chasse et les Sports chez les Arabes. Paris 1927.

MEZ (Adam) . . . . . : Die Renaissance des Islams. Heidelberg 1922.

نقله إلى العربية فى جزأين . الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة بعنوان « الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى » الطبعة الأولى القاهرة ١٩٤٠ م .

MINORSKY (V.) . . . . . Tadkkirat al-Mulûk. A Manual of Safavid Administration. London 1943.

MUIR (William) . . . . . : The Caliphate: Its Rise, Decline, and Fall. Edinburgh 1915.

NICHOLSON (R. L.) . . . . . : Studies in Islamic Mysticism. Cambridge 1921.

obeikandl.com

نقل الأستاذ الدكتور على أبو الملا عفيفى إلى العربية طائفة من الدراسات التى قام بها نيكولسون ونشرت فى القاهرة سنة ١٩٤٧ بعنوان : « فى التصوف الاسلامى وتاريخه » .

NUTZEL (H). . . . . Königlische Museen Zu Berlin: Katalog der Orientalischen Münzen. Berlin 1898.

OMAR TOUSSON (Le Prince) . . Mémoire sur l'histoire du Nil (Mémoires de l'Institut d'Egypte, tomes VIII, IX, X). Le Caire 1925.

— . . La Géographie de l'Egypte Arabe, Tome Premier. Le Caire 1926.

Papyrus Erzherzog Rainer. Führer durch die Ausstellung. Wien 1894.

PAUTY (Edmond) . . . . . Bois sculptés d'Eglises Coptes. Le Caire 1930.

— . . . . . Les bois sculptés jusqu' à l'époque Ayyoubide. Catalogue du Musée Arabe. Le Caire 1931.

PEDERSEN (J.) . . . . . Art. Masdjid (Encyclopaedia of Islam, vol. III). Leiden. London 1936.

Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe T. V. Le Caire 1934. Voir Combe.

RABINO DI BORGOMALE (H.L.) . Coins and seals of Shahs of Iran. Hertford 1945.

ROSS (E. Denison) . . . . . The Art of Egypt through the Ages. London 1931.

SNOUCK HURGRONJE (C.) . . . Mekka 2 Bd. Haag 1888-1889.

STRZYGOWSKI (J.) . . . . . Asiens bildende Kunst. Wien 1930.

TORNBERG (C. J.) . . . . . Mémoires sur les Monnaies des Ikhschidites (dans Nova Acta Regiae Societatis scientiarum Upsaliensis, 3ème Série, vol. II).

TRIMINGHAM (J. SPENCER) . . Islam in the Sudan. Oxford 1949.

TRITTON (A. S.) . . . . . The Caliphs and their non-Muslim subjects. Oxford 1930.

ترجمه وعلق عليه الأستاذ حسن حبشى بعنوان « أهل الذمة فى الاسلام » القاهرة ١٩٤٩ م .

TYAN (E.) . . . . . Histoire de l'organisation judiciaire en pays de l'Islam. Paris 1938.

WEILL (J. D.) . . . . . Les Bois à Epigraphes jusqu'à l'Epoque Mamlouke. Catalogue du Musée Arabe. Le Caire 1931.

WIET (G.) . . . . . The Governors and Judges of Egypt (Journal of the Royal Asiatic Society), July 1914.

— . . . . . L'Historien Abul-Mahssin. Bulletin de l'Institut d'Egypte. T. XII. 1929-1930.

— . . . . . Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicrum, T. II Egypte. Le Caire 1930.

— . . . . . Catalogue général du Musée Arabe du Caire. Stèles Funéraires. T. V. Le Caire 1937.

— . . . . . Les Mosquées du Caire. 2 vols. Paris 1932.

— . . . . . Notes d'Epigraphie Syro-Musulmane, (dans Syria). T. VII.

— . . . . . L'Egypte Arabe (Histoire de la Nation Egyptienne, T. IV).

— . . . . . L'Egypte Musulmane (Précis de l'histoire d'Egypte, T. II). Le Caire 1932.

— . . . . . Trois Formules d'Indépendance dans l'Egypte Médiévale. Le Caire 1942.

— . . . . . Les Communications en Egypte du Moyen Age.

نقلوا إلى العربية محمد وهي بعنوان « المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى » ونشرت فى كتاب « فى مصر الاسلامية » أخرجه الدكتور زكى محمد حسن والقائمقام عبد الرحمن زكى .

WUSTENFELD (F.) . . . . . Die Statthalter von Agypten Zur Zeit der Chalifen. Gottingen 1875.

VONDERHEYDEN (M.) . . . . La Berbérie Orientale sous la dynastie des Benoû'L-Arlabe. Paris 1927.

ZAKY MUBARAK . . . . . La Prose Arabe au IVe siècle. Paris 1931.

opeikanon.com

ZAKY MOHAMED HASSAN . . . Les Tulunides. Paris 1933.

. . . Hunting as practised in Arab Countries of the Middle Ages. Cairo 1937.

. . . Moslim Egypt and its Contribution to Islamic Civilisation (Bulletin of the Faculty of Arts, Fouad I University, vol. XI, Part II,Dec. 1949. Cairo).

. . . Moslem Arts in the Fouad I University Museum, vol. I, Cairo 1950.

ZAMBAUR (E. de) . . . . . Manuel de Généalogie et de Chronologie pour l'histoire de l'Islam. Hannover 1927.

تنشر جامعة فؤاد الأول ترجمة عربية لهذا الكتاب ، أخرجها (الدكتور زكى محمد حسن والأستاذ حسن أحمد محمود) .

ZETTERSTEEN (K.V.) . . . . . Article Shurta (Encyclopædia of Islam).

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس الأشكال واللوحات

شكل (ا) ص ١٩٨ : وثيقة بردية من سنة ٣٥٦ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية [عن جرومان]

شكل (ب) ص ٢٥٩ : وثيقة بردية من سنة ٣٤٨ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية [عن جرومان]

شكل (ج) ص ٢٧٢ : وثيقة بردية من سنة ٣٤١ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية [عن جرومان]

شكل (د) ص ٢٧٤ : وثيقة بردية من سنة ٣٤٨ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية [عن جرومان]

شكل (هـ) ص ٢٧٧ : وثيقة بردية من سنة ٣٤٨ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية [عن جرومان]

اللوحة رقم ١ : سكة من العصر الاخشيدى [عن لاثوا]

اللوحة رقم ٢ : مشهد آل طباطبا [عن كريزويل : العمارة الاسلامية فى مصر ، تحت الطبع]

اللوحة رقم ٣ : رسم مكمل لمشهد آل طباطبا [عن كريزويل : العمارة الاسلامية فى مصر ، تحت الطبع]

اللوحة رقم ٤ : مسقط أفقى لمشهد آل طباطبا [عن كريزويل : العمارة الاسلامية فى مصر ، تحت الطبع]

اللوحة رقم ٥ : محراب قديم ينسب الى العصر الاخشيدى [عن كريزويل : العمارة الاسلامية فى مصر ، تحت الطبع]

اللوحة رقم ٦ : زخارف من الجص فى محراب قديم ينسب الى العصر الاخشيدى [عن كريزويل : العمارة الاسلامية فى مصر تحت الطبع]

اللوحة رقم ٧ : شاهد قبر من سنة ٣٣٢ هـ ، محفوظ بدار الآثار العربية [عن ثيبت]

اللوحة رقم ٨ : شاهد قبر من سنة ٣٣٣ هـ ، محفوظ بدار الآثار العربية [عن ثيبت]

اللوحة رقم ٩ : شاهد قبر من سنة ٣٤٥ هـ ، محفوظ بدار الآثار العربية [عن ثيبت]

اللوحة رقم ١٠ : شاهد قبر من سنة ٣٥٥ هـ ، محفوظ بدار الآثار العربية [عن ثيبت]

openkanal.com

اللوحة رقم ١١ : قطعة نسيج من الصوف والكتان ، من صناعة مصر فى القرن الرابع الهجرى ومحفوظة بدار الآثار العربية [عن ڤييت : معرض المنسوجات فى جوبلان بالفرنسية]

اللوحة رقم ١٢ : قطعة من النسيج المصنوع فى مصر سنة ٣٥٧ هـ

اللوحة رقم ١٣ : قطعة نسيج من الكتان والصوف من صناعة الفيوم فى القرن الثالث أو الرابع بعد الهجرة [عن زكى محمد حسن : فنون الاسلام]

اللوحة رقم ١٤ : قطعة نسيج من صناعة اليمن فى القرن الثالث أو الرابع الهجرى .

اللوحة رقم ١٥ : قطعتان من الخشب ذى الزخارف والكتابات المحفورة ، من مصر فى القرن الثالث أو الرابع بعد الهجرة [عن زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر]

اللوحة رقم ١٦ : قطعة من الخشب ذى الزخارف المحفورة ، من مصر فى القرن الرابع الهجرى [عن زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر]

obeikandl.com